_ **الفصل الأول:** شعر الاعتقال عند المعتمد بن عبادوأبي فراس الحمداني.

_ **المبحث الأول:** شعر الاعتقال عند المعتمد بن عباد.

أ_ **المطلب الأول:** موضوعات شعر الاعتقال عند المعتمد بن عباد.

ب_ **المطلب الثاني:** تموقع شعر الاعتقال عند المعتمد بن عباد.

2_ **المبحث الأول:** شعر الاعتقال عند أبي فراس الحمداني.

أ_ **المطلب الأول:** موضوعات شعر الاعتقال عند أبي فراس الحمداني.

ب_ **المطلب الثاني:**تموقع شعر الاعتقال في ديوان أبي فراس الحمداني.

إن الدارس للشعر العربي والمغربي على السواء ، يجد اثر الاعتقال باديا في العديد من دواوين الشعراء أمثال أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد وغيرهم، فظهرت موضوعات تتناسب والمحنة، وتعبر عن عمق معاناة من جهة وتبين اثر الاعتقال في تميز كل شاعر على مستوى الموضوعات والموقع الموسع في ديوان كل منهما من جهة أخرى ،فكلاهما شاعر معروف و فارس مشهور و أمير ذو شان، وكلاهما عنى المرض في سجنه و كذلك تساوت مدة اسر كل منهما.[1]

وعند المقارنة بين ما قاله المعتمد في معتقله وما قاله أبو فراس نجد تشابها كبيرا في الموضوعات والمعاني وبعض الصور والتشبيهات[2]،وهذا ما نحاول التطرق إليه من خلال هذا الفصل المقسم بين تنوع الموضوعات واختلاف التموقع للقصائد في ديوان كل من أبي فراس والمعتمد.

[1] _ صلاح جرار،قراءات في الشعر الأندلسي،دار المسير،عمان،ط2007،1،ص139.

[2] _ ينظر،لمرجع نفسه،ص139.

_ المبحث الأول:شعر الاعتقال عند المعتمد ابن عباد

1-المطلب الأول : موضوعات شعر الاعتقال عند المعتمد ابن عباد.

إن الأوضاع قد انقلب رأسا على عقب فشتان بين ماكان عليه المعتمد من عزة ومجد وبين ما أصبح عليه من إهانة واضطهاد، وقد رأينا أنه تقبل هذه الرحلة من حياته بصبر وتجلد ولم يستسلم لليأس بل حاول لأن يجد وسيلة شاعره على التكيف مع هذه الوضعية الجديدة وكان اللجوء إلى الشعر وإلى الذكريات مقارنا دائما بين الماضي الزاهر والحاضر البائس[1]، وشعر الاعتقال هو كل منظمه المعتمد من شعر في محنته وقد قال أبن عباد في مراحل مختلفة من المحنة، فإن ألقينا نظرة شاملة على هذا الإنتاج الشعري في هذه القترة الزمنية يتبين لنا أن الكلام يدور حول محاور ثلاث هي، المحور الأول متمثل في الشاعر نفسه في حياته اليومية ماديا ومعنويا، والمحور الثاني متمثل في زوجته وبناته، والمحور الثالث متمثل في والديه [2].

وعلى حسب هذا تنوعت موضوعاته و تعددت فكانت في الفخر والشكوى والرثاء وكذا مساجلة الشعراء مع أنه لم يتميز بالكثرة وقد كان مركزا ومكثفا لدرجة أنه احتوى على معاني متجددة وأفكار طريفة، احتوى ذكره لأحداث سابقة من حياته الحرية وإبراز مدى التغيير الذي حدث فيها و انتقاله من حالة إلى أخرى وهذا ما سنحاول التطرق إليه وكذا التفصيل فيه من حلال إدراج بعض الأمثلة فيها .

أ_ الشكوى :هو الموضوع الأبرز في شعر المعتمد في أسره وقد طغت الشكوى على الموضوعات، حتى عدت سمة بارزة اتسم بها، حتى أن كافة موضوعاته لم تخلو من الشكوى، ولم يتم تفصيلها في عناوين منفصلة إلا لسهولة الدراسة من ناحية ولكون الشكوى بدت ضمنية أي أنها كانت في معناه من ناحية أخرى.[3]

[1] _ حمدان حجاجي،محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف،منشورات زرياد،الجزائر،دط،1993،ص51.

[2] _ ينظر،المرجع نفسه،ص51.

[3] _ سامي يوسف أبو زيد،الأدب العباسي(الشعر)،ص305.

وقد بدت شكواه متعددة الجوانب، وكثرة آلامه وتنوعها يبين ما هو نفسي وما هو جزئي جسدي، وكانت أولى شكواه بعدما غربه ابن تاشفين حيث قال :

_خَرَجُوا لِيَسْتَسْقُوا فَـقُلْتُ لَـهُمْ دَمْعِي يَنُوبُ لَكُمْ عَنْ الأَنْوَاءِ.

_ قَالُوا: خَفِيفَ فِي دُمُوعِكَ مُقْنَعُ لَكِنَهَا مَمـزُوجَةٌ بِـدِمَاءِ.[1]

هو مسلوب الحرية والتي هي حق كل فرد وإنسان،وغاية يسعى لتحقيقها كل فاقدا لها ونستطيع القول،إن أشعار المعتمد الشاكية هي التي حركت مشاعر المؤرخين وحملتهم على الوقوف على جانبه حتى عدت مأساة المعتمد حديث الثاني عامة، يتلقفونها في مختلف الأقطار،[2]ومن حزنه شكى فقال :

_ أَبَى الدَّهْرُ أَنْ يَفْنِى الحَيَاةَ وَيَنْدَمَا وَكْرَ يُدَاوِي عِلَةٌ فِي الجَوَارِحِ.

_ سِـوَايَ فَإِنِي رَهْـنُ أَدْهَـمِ مُـبْهَمِ سَبِيـلَ نَجَاتِي أَخَـذَ بِالمَبَارِحِ.[3]

وفيها يشكوا لأسر مع العلم أنه لن يفرج عنه ويتلاشى الأمل لديه، فما ملاذ من كل هذا الحزن والألم إلا الشكوى، وفي موضع آخر يشكو الدهر فيقول :

_ أَبَى الدَّهْرُ أَنْ يَفْنَى الحَيَاةَ وَيَنْدَمَا وَأَنْ يَمْحُو الذَنْبَ الذِّي كَانَ قُدُمًا.

_ وَأَنْ يَتَـلَقَى وَجْهُ عَـتَبِي وَجْهـهُ بِـعُذْرِ يَغْـشَى صَـفْحَتَيْهِ التَذَمُمَا.[4]

و شكواه لم يخص الدهر وحده حيث شكى المعتمد القْيد أيضا ، فبعد وصوله إلى أغمات وأستقر بها أذاقه أعداؤه مختلفة ألوان العذاب، فعرف الفقر والحرمان والجوع فتذكر قصوره الفاخرة وما كان ينعم به فيها فيزيد أنينه على ماضي يصفه نهائية. وقد تحمل المعتمد.

[1] _ المعتمد بن عباد،الديوان،ص113.

[2] _ ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ص190.

[3] _ المعتمد بن عباد،الديوان،ص86.

[4] _ المصدر نفسه،ص114.

هذه المحنى المتنوعة كلها بفضل ما كان يحض به من قوة نفسانية نادرة إلا أنه لم يستطع تحمل الأغلال الثقيلة في قدميه فخاطبها بكآبة[1]، وشكى الحال منها فقال :

_ تَبَدَلْتُ مِنْ عِزِّ ظِلِ الـبُنُودِ بَـذْلَ الحَدِيدِ وَثُـقْلَ القُـيُودِ.

_ وَكَانَ حَدِيدِي لِسَانًا دَلـِيقًاوَغَضَبًا رَقِيقًا صَقِيلَ الحَدِيدِ.

_ فَقَدْ صَارَ ذَاكَ وَذَا أَدْهَـمَا يَعُضُ بِسَاقِي عَضَّ الأُسُودِ.[2]

فهو يشكو الحال الذي آل إليه بعد أن كان ساكن القصور والحرية ميزته أصبح في قفص يأكل الحديد والألم منه الراحة ويسرق شعور الحرية ليستبدل بوطأة القيد،هذا الأخير الذي سبب له آلام جسدية مختلفة وكذا نفسية حيث يقول في ذلك :

_ قَيْدِي أَمَا تَـعْلَمُنِي مُسْلِـمَا أَبَيْتَ أَنْ تُشْفِقَ أَوْ تَرْحَمَا.

_ دَمِي شَرَابٌ لَكَ وَاللَحْمُ قَـدْ أَكَلْتَـهُ لَا تُهَشِـمْ الأَعْـظُمَا.

_يُبْصِرُنِي فِيكَ أَبُو هَاشِـمٍ فَيَنْثَنِي القَلْبُ وَقَدْ هَشَمَا.[3]

كما شكا الحالة الصحية إلى آل إليها بعدما كان صحبة ملوك ووزراء وخيار الأدباء أصبح في أسر وصحبة اللصوص والقتلة ، ومع ذلك اتخذهم أنس له، وفي هذا لم يدم فقد شفع في اللصوص وعاد ليبقى وحيدا معزولا[4]،فلا شك أن كل هذا قد ترك فيه ألما نفسيا كبيرا، عبر عنه بقوله :

_ أَمَا الِانْسِكَابِ الدَمْعِ فِي الخَدِ رَاحَةٌ لَقَدْ آنَ أَنْ يَفْنَى وَيَفْنَى بِهِ الخَدُ.

_ هُـبُوا دَعْـوَةُ يَـا آلَ فَـاسٍ لِمُبْتَـلَى بِمَا مِنْهُ قَدْ عَافَاكُمْ الصَمَدُ الفَرْدُ.

---

[1] _ حمدان حجاجي،محاضرات في الشعر الأندلسي عصر الطوائف،ص52.

[2] _ المعتمد بن عباد،الديوان،ص94.

[3] _ المصدر نفسه،ص112.

[4] _ مصطفى الشكعى،الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ط1983،5،ص539.

_ تَخَلَصْتُمْ مِنْ سِجْنِ أَغْمَاتَ وَالتُوتُ عَلَـي قُـيُودٍ لَـمْ يَحِـنْ فَكُهَا بَـعْدُ.[1]

يصور لنا المعتمد هنا انسكاب دمعه، وكيف أنه بقي وحيدا يشكو لوعة فراقه لمن كانوا معه وطلب منهم أن يدعو له لربما يكون في دعائهم فرج ومن كل هذا نجد أن المعتمد كان يشكو القسوة و قلة الحيلة.

كان يشكو همه ومأساته أي أن شكواه كانت فردية أي تخصه لوحده ولذاته، فمحنته متعددة الجوانب من جسمية ونفسية، ولكن هذا لم يمنحه من الشكوى لما رأى من حال أولاده، وبهذا فقد صور معاناة أهله،وشكى الحال الذي آلو إليه وفي هذا الخصوصقال:

_ أَأَرْغَـبُ أَنْ أَعِـيشَ أَرَى بَـنَاتِي عَوَازِي قَدْ أَضْرَبَهَا الخَفَاءُ.

_ خَوَادِمُ بِنْتِ مَنْ قَدْ كَانَ أَعْلَى مَـرَاتِبَهُ إِذَا أَبـدُو الـنـدَاءَ.

_ وَطَرَدَ النَاسَ بَيْنَ يَدَيَ مَمَرِي وَكَفَهُمْ إِذَا غَضَ الـفَنَاءُ.[2]

فهذا وصف لبناته وهو يراهن حفاة عاريات يخدمن من كانوا هم تحت أمرهن وهذه شكوى لسوء حالهن عليهن، وهن اللواتي عشن في عز وسلطة وخاصة حين زرته في يوم عيد ورأى حالهن الشاكي لما يعانينه، فقال في ذلك:

_ فِيمَا مَضَى كُنْتَ بِالأَعْيَادِ مَسْرُورًا فَسَاءَكَ العِيدُ فِي أَغْمَاتَ مَأْسُورَا.

_ تَرَى بَنَاتِكَ فِي الأَطْمَارِ جَـــائِعَةً يَغْزِلْنَ لِلْنَاسِ لَا يَمْلِكْنَ قِطْمِيـــرَا.

_ بَرَزْنَ نَحْوَكَ لِلْتَسْلِيمِ خَـــاشِعَةً أَبْصَارُهُـنّ حَسِيـرَاتٌ مَكَاسِيـــرَا.

_ يَطَأْنَ فِي الطِينِ وَالأَقْدَامُ حَافِيَةً كَأَنَهَا لَـــمْ تَـــطَأْ مِسْـكًا وَكَافـُورَا.[3]

كل هذه العوامل اجتمعت ليبلغ الم المعتمد حدا جعله يخاطب موجودات الطبيعة ويبثها شكواه وألمه، ومن ذلك مخاطبته لسرب من قطا يسرح ويمرح[1].

---

[1] _ المعتمد بن عباد،الديوان،ص93،94.

[2] _ المعتمد بن عباد،الديوان،ص107.

[3] _ المصدر نفسه،ص100،101.

في الجو:

ـ بَكَيْتُ إِلَى سِرْبِ القَطَا إِذْ مَـرَرْنَ بيسَـوارِحَ لَا سِجنٌ يَـعُـوقُ وَلَا كَـبـلُ.

ـ وَلَـم تـكُ وَاللَـهُ المـعيذُ حـسادَةً وَلَكِـن حَنيـناً إِنّ شَكـلي لَـها شـكلُ.

ـ فاِسرح فَلا شملي صَديعٌ ولا الحَشاوَجـيـعٌ وَلا عَـينـايَ يُبكيهِـما ثـكلُ.

ـ هَنيئاً لَـها أَن لـَم يُفَرِّق جَـميعُـها ولا ذاقَ مِنها البُعـدَ عَـن أَهلِها أَهـلُ.

ـ وَأَن لَـم تَبِت مِـثلي تَطيرُ قُلوبُـها إِذا اهتَزَّ بابُ السجنِ أَو صلصلَ القفلُ.[2]

ومنه فهو يتمنى لو كان حرا كالطيور إلا أن هذا لا يعني أنه يحسدها بل يريد أن يتميز خيرا لها ولنفسه،ومنه فإن المعتمد هو الثاني الباكي الشاكي لأحوال الأسر الذي انقسمت شكواه مابين الفرد والجماعة وما بين شكواه للإنسان ولعل هذا يخفف عنه جزء من اللم واليأس الذي يعيشه ويحس به.

ب_ الرثاء: إن رثاء المعتمد بن عباد في أسره قد وقع في أأشكال ثلاثة تمحورت حول رثاء الأبناء، رثاء المدن، رثاء النفس، وهذا نتيجة تنوع مصابه وتعود مباكيه، فقد كان المعتمد أول من رثى نفسه وهو لم يصنع هذا الرثاء على طريقة من يئسوا من حياتهم لمرض عضال أو أمل ضائع وإنما كان يرثي ملكه ويبكي دولته حين أمر أن يكتبوا على قبره، وقد أحس باقتراب منيته في الأسر[3]، أما رثاؤه لأبنائه فكان من وراء القضبان ومن داخل ظلام السجن، كان نابعا من المحنة والقيد وبمضيه في رثاء أبنائه، يقول:

ـ يَقُولونَ صَبراً لا سَبيلَ إِلى الصَبرِ سَأَبكي وَأَبكي ما تَطاوَل مِن عُمري.

[1] _ صلاح جرار،قراءات في الشعر الأندلسي،دار المسير،عمان،ط2007،1،ص141.

[2] _ المعتمد بن عباد،الديوان ،ص101،100.

[3] _ مصطفى الشكعة،الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه،ص532.

_ هَوى الكَوكَبانِ الفَتحُ ثُـمَّ شَـقيقُهُ يَزيدُ فَهَل بَـعدَ الكَواكِـب مِن صَبـرِ.[1]

_ نَـرى زُهرَهـا فـي مـأتـمٍ كُـلَّ لَيـلَةٍ يُخَمّشنَ لَهفاً وَسطَهُ صَفحَةَ الـبَدرِ.

_ يَنُحنَ عَلـى نَجمَـين أَثكَلنَ ذا وَذاوَيـا صَبـرُ مـا لِلقَلبِ فـي الصَـبر.

_ مَدَى الدهرِ فَلْيَبْكِ الغِمَامُ مُصَابَهُ بِصَنْوَيْهِ يَعْذُرُ فِي البُكَاءِ مَدَى الدَهْرِ.[2]

يعلن المعتمد عدم قدرته على الصب لأن مصابه جلل، ولا يرى مفر من ذلك غير البكاء وذكر ما فات حتى إن كان ذلك للذكر وذرف الدموع دون ملاقاة أمل في الفرج، حيث يقول إنه سيبكي طول الدهر وما طال من عمره وكأنه يستسلم لما قضى الله من أمره.

وما لقضاء الله من مرد غير البكاء والرثاء لما آل إليه الحال ويمضي المعتمد في شعره ويرى أن الموت هي أهون لأولاده[3]، من أن يروه في حال الأسر والذل والهوان الذي وصل حاله اليه، فيقول:

_ فَلَوْ عُدْتُمَا لَاخْتَرْتُمْ العُودَ فِي الثَرَى إِذَا أَنْتُمَا أَبْصَرْتُمَانِي فِي الأَسْرِ.[4]

ويستمر رثاؤه لأبنائه فيقول وهو يرثي ما آل به الدهر وأوصله اليه:

_ يَا غَيْمَ عَيْنِي أَقْوَى مِنْكَ تُهْتَانًا أَبْكِـي لِحُزْنٍ وَمَا حُمِلْتِ أَحْزَانَـا.
_ وَنَـارُ بَرْقِكِ تَـخْبُو إِثْرَ وَقْدَتِـهَا وَنَـارُ قَلْبِي تَلْفَى الدَّهْرَ بُرْكَانَـا.
_ نَارٌ وَمَاءٌ صَمِيَم القَلْبِأَصْلُهُمَا مَتَى حَوَى القَلْبُ نِيرَانًا وَطُوفَانَا.
_ هَذَانِ أَلَّفَ صِرْفُ الدَّهْرِبَيْنَهُمَا لَـقَدْ تَلَوَّنَ فِـي الـدَّهْرِ أَلْـوَانَـا.[5]

[1] _ المعتمد بن عباد،الديوان،ص105.
[2] _ المعتمد بن عباد،الديوان،ص105.
[3] _ ينظر،مصطفى الشكعة،الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه،ص532.
[4] _ المعتمد بن عباد،الديوان،ص106.
[5] _ المصدر نفسه،166.

يشرح في هذه الأبيات ما مدى المفارقة بين الذي هو مع العين أغزر من أمطار الغيم وما مدى التهاب قلبه بنيران القهر، فكيف يكون الألم والحزن صانعا لهذه المفارقة بين النار الملتهبة والمياه المصاحبة لدموع العين، عجيب كيف أن قساوة الدهر تصنع كل هذه الأنواع من المصائب إنشاء كل هذه المفارقة وفي جانب آخر للرثاء، رثاؤه لقصوره وملكه الزائل بعد تذكرها وهو في الأسر.

فقال:

ـ بَكَى المُبارَكُ فِي إثرِ ابْنِ عَبّادِ بَكَى عَلَى أَثَرِ غِزلَانٌ وَآسَادُ.

ـ بَكَت ثُرَيّاهُ لا غُمَّت كَواكِبُها بِمِثلِ نَوءِ الثرَيّا الرَائِحِ الغَادِي.

ـ بَكَى الوَحيدُ بَكى الزاهي وَقُبَّتُهُ وَالنَهرُ وَالتَاجُ كُلٌّ ذُلُّهُ بَادِي.[1]

وفي هذا يصور القصور وقد اشتاق إليه ويفضل المعتمد في ذكرها بأسمائها على نحو يوحي بتحسره وتألمه لما فارق واستوحش لها وكان ذكره لقصوره ناجم عن حسرة وظلام. السجن.[2]ويشتد حنين الشاعر إلى أوطانه، والحلول عند قصوره ومحاله، فلا يجد لذلك سبيلا إلا التمني، فيتمنى العودة إليه تمني اليائس، فيقول:

ـ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَ لَيْلَةً أَمَامِي وَخَلْفِي رَوْضَةٌ وَغَدِيرُ.

ـ بِمَنْبَتِةِ الزَيْتُونُ مَوْرِثُهُ العُلَى تُغَنِي قِيَانُ أَوْ تَرِنُ طُيُورُ.

ـ بِزَاهِرِهَا السَامِي الذِي جَادَهُ الحَيَا تُشِيرُ الثُرَيَا نَحْوَنَا وَنُشِيرُ.

ـ وَيَلْحَضُنَا الزَاهِي وَسَعْدُ سُعُودِهِ غَيُورَيْنِ وَالصَّبُ وَالمُحِبُ غَيُورُ.

ـ تَرَاهُ يَسِيرًا أَمْ عَسِيرًا مَنَالُهُ أَلَا كُلُ مَا شَاءَ الإِلَهُ يَسِيرُ.[3]

---

[1] _المعتمد بن عباد،الديوان ،ص43.

[2] _ ينظر،مصطفى الشكعة،الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه،ص532.

[3] _ المعتمد بن عباد،الديوان ،ص99.

ومن صور الرثاء عند المعتمد رثاء النفس، وهو أول من رثى نفسه كما سبق الذكر وقد رثى نفسه بعد إحساسه باقتراب منيته فأمر أن يكتب على قبره، هذه الأبيات:

_ قَبْرَ الغَرِيبِ سَقَاكَ الرَائِحُ الغَادِي حَـقّاً ظَـفَرتَ بـأَشْلَاءِ ابْـنِ عَبّــادِ.

_ بِالحِلمِ بالعِلمِ بِالنُعْمَى إِذِ اِتّصلَت بِالخَصبِ إِن أَجدَبوا بالرَيِ لِلصَادِي.[1]

_ بِالطَاعِنِ الضَارِبِ الرَامِي إِذَا اِقتَتَلُوا بِالمــوْتِ أَحْمــرَ بالضِرْغَـمِ العَادِي.

_ بِالــدَهْرِ فــي نِقَـمِ بِالبَحْرِ فِي نِعَـمٍ بِالبَدرِ فِي ظُلَمٍ بِالصَدْرِ فِي النَادِي.[2]

رثا خصاله الزائلة بزوال حريته وملكه الذي كان هو الحصن والحامي له من عوائق عواقب الزمان والدهر، نفسي تغير حالها بتحول الموضع والزمان ثم يعود ليشير إلى الموت وحقيقة أنها آتية لا محال مسلما أمر لها وهو العارف أنها من رب العباد، فيقول:

_ كَفاكَ فارفُق بِما اِستُودِعْتَ مِن كَرَمٍ رَوّاكَ كُـلُّ قَطُـوبِ البَـرْقِ رَعّـادِ.

_ يَبْكِي أَخــاهُ الّـذِي غَيَّبـتَ وابِـلَهُ تَحْتَ الصَفِيحِ بِدَمعٍ رائِـح غَـادِي.

_ حَتّى يَجودَكَ دَمعُ الطَلّ مُنهَمــراً مِنْ أَعيُن الزَهرِ لَمْ تَبْخَل بِإِسْعَادِ.[3]

وهذا هو رثاؤه الذي تنوع عن رثاء نفسه وقصوره الزائلة وعائلته وحالها.

ج_ **الفخر:** هو من موضوعاته الشعرية في أغمات التي كتب فيها وهو بعيد عن العز والملك والرعية والخدم، يتذكر كل ذلك إلا أن الصورة لديه لا تكتمل فيقطعها الظلام الأسر ليحوم بواقع الشجن فلا أنيس له ولا رفيق إلا الظلام في عزلة عن الناس والأحبة فيلجأ إلى تذكر الأيام الخوالي ويبدأ فخره بسداد رأيه وهو يتميز على من قالوا له أن يقطع

[1] _ المصدر نفسه،ص96.

[2] _ المعتمد بن عباد،الديوان ،ص96.

[3] _ المصدر نفسه، ص96.

للمرابطين ولكنه رفض لأن رفضه كان نابع عن قناعة متينة، وحزم على ذلك ويفخربهذا،في قوله:

_ لَـمَا تَمـاسَكتِ الـدُمُـوعُ وَتَنَبَــهَ القَلــبُ الصَـدِيُـع.

_ قَـالُـوا الخُضُوعَ سِيَاسَةٌ فـلْيَبْدُ مِنـكَ لَهُـمْ خُـضُوعُ.

_ وَأَلَذُ مِنْ طَعْمِ الخُضُو عْ عَلَى فَـمِي السُّـمِ النَقِيـعُ.[1]

فخره يبرز في بيان صحة رأيه وفساد رأيهم وضلال فكرهم، إذ أنهم نصحوه بالخضوع مع أنه كان أمر مرفوض، ورأى أن الموت أهون عليه من ذلك، وهو الحكيم الصائب في آرائه،كما أفتخر بنفسه ونسبه في قصيدة ختمها ببيت يحمل معنى للفخر بالذات والنسب.

فيقول:

_ شِيَمُ الآلِي أَنَا مِنْهُـــمْ وَالأَصْـــلُ تَتْبَعُــهُ الفـــرُوعُ.[2]

ويقول أيضا:

_ قَدِيمًـــا كَلَفَ المَلِكُ بِنَا وَرَأَى مِنَـا شُمُوسًـا فَعَشِـقَ.[3]

وفي هذا أيضا افتخار بالنسب الذي يبين أنه ليس حديث المجد بل هو أصيل أصالة الأمجاد والأسلاف، أي أن مجده عريق عراقة عشيرته وفخر المعتمد بنفسه وعشيرته وهو في المعتقل أعطاه دفعا معنويا كبيرا أدى به إلى الصبر، ونجد هذا في أشعاره الدالة على قوته رغم الحال التي آل إليه،إذ يتبين لنا من خلال قوله:

_ لَا تَـرْعَ لِلْدَمْعِ فِي آمَـاقِنَا مـزَجْتَهُ بِـدَمٍ أَبْدَى الحَرْقَ.[4]

---

[1] _ المصدر نفسه ،ص88.

[2] _ المعتمد بن عباد،الديوان ،ص89.

[3] _ المصدر نفسه،ص109.

[4] _ المصدر نفسه ،ص109.

واستمراره في الفخر بالأسرة وتاريخها العتيد وبالأمل الطيب الذي ينتسب إليه فهو من عائلة ملكية بالوراثة فيقول في ذلك:

_ قَـدِيمًـا كُلِـفَ المَلِـكُ بِنَـا وَرَأَى مِـنَا شُـمـوسًـا فَعَـشِـقَ.

_ قَدْ مَضَى مِنَا مُلُوكٌ شٌهِـرُوا شُهْرَةَ الشَّمْسِ تَجَلَتْ فِي الأُفُقِ.

_ نَحْنُ أَبْنَاءُ بَنِي مَاءِ السَّمَا نَحْوَنَـا تَـطْمَحُ أَلْحَـاظُ الحِـدَقِ.[1]

ومن كل هذا نجد الشاعر يفخر بأنسابه وأصله رغم ما يمر به والأسر وما ذاقه من ذل ومهانة، بعد سقوط عزه، وإذا ما دل على شيء فإنما يدل على أنه وجد في السعي.بأمجاده وعز أسلافه ومواساة له في سجنه المظلم الذي لا رفيق له فيه غير القضبان والقيود، وفي أبيات أخرى يقول:

_ وَكُنَا إِذَا حَانَتْ لِنَـحْرِ فَرِيـضَةِ وَنَادَتْ بِأَوْقَاتِ الصَلَاةِ طُبُـولُ.

_ شَهِدْنَا فَـكَبِرْنَا فَظَلَتْ سُيُوفُنَـا تُصَلِي بِهَا مَاتَ العِدَى فَتُطِيلُ.

_ سُجُودٌ عَلَى إِثْرِ الرُكُوعِ مُتَابَعُ هُنَاكَ بِـأَرْوَاحِ الكُمَـاةِ تَسِيـلُ.[2]

وبهذا يكون المعتمد قد تطرق إلى موضوع الفخر بطريقة مقسمة بين فخره بنفسه وقوته وبين نسبه وعراقة أهله، وأن عراقة أصله ليست بحديثة بل هي قديمة وضاربة في جذور التاريخ.

د_ العتاب: كان هذا الموضوع محدود التناول وقليل التداول، والسبب هو عزة نفسه وكبريائه الذي حافظ عليه طوال مدة سجنه، فلم يخضع ولم يكسر عزة نفسه، ولم يطلب العون إلا من الله، لذا فقد كان هذا الموضوع في قصيدة لا غير كان فيما طلب

[1] _ المصدر نفسه ،ص109.

[2] _ المعتمد بن عباد،الديوان ،ص111.

المعتمد من أنبت يوسف ابن تاشفين عند رحيله من الأندلس خباء عارية فلم تلبه[1]، حزنا وقال:

_ هُـمْ أَوْقَدُوا بَيْنَ جَنْبَيْكَ نـارًا أَطَـالُـوا فِـي حَشَـاكَ أَشْـعَارًا.

_ أَلَمْ يَخْجَلْ المَجْدُ أَنْ يُرَجَلُو كَ،وَلَمْ يُصْحِبُوكَ خَبَاءً مُعَارًا.[2]

اعتذرت بأنه ليس عندها خباء، فعتبت عليه عتابا لا يخلوا من التعريض، نوه فيه إلى إنكار الجميل وغدرهم بالصديق، ولما لم يتضمن الديوان سوى هذه القصيدة نقول أن المعتمد لم يعاتب لأن نفسه منعته هذه الأخيرة التي قال فيه:

_ وَأَلَـذُّ مِنْ طَعـمِ الخُضُـوعِ عَـلَى فَـمِي السُّـمُ النَقِيعُ.[3]

وبذلك فإن عزة النفس من الدافع الأساسي وراء امتناع المعتمد عن مدح يوسف اب ن تاشفين وإن كان قد رجى عفوا من وراء هذه الأبيات، فلا يعود ذلك تدللا إذ أن المعتمد ليس الملام في هذا المقام، وبدى يوسف ابن تاشفين بمظهر الشاكر للجميل كيف أنه تنكر له عندما كان بحاجته ولجأ إليه دون إيجاد للرد ولا للرجى، حشر أنه وجد نفسه وحيدا في زنزانته مظلمة، فاستقبل المحنة بثبات في وجوده، فهو لم يكن مستسلما ولا خائفا، بل ذكرهم بما فعله من أجله، فقال:

_ يَقُـلْ لِعَيْنَـكْ إِنْ يَـجَـعَلُوا سَـوَادَ العُـيُونِ عَلَيْكُمْ شِعَارَا.

_ تَرَاهُمْ نَسَوْ حِينَ جَزَتْ القِـفَارُ حَنِينًا إِلَيْهِمْ وَخُـضْتَ البِحَـارَا.[4]

هـ_ الزهد والتأمل: الشجن والأسى والألم كلها دفعت بالمعتمد إلى التأمل وهو المنفرد في سعيه والدهر يمر به ويمضي، واعتبار تقلبات الدهر ومروقه، إذ أنه لم يكن يملك

[1] _ حمدان حجاجي،محاضرات في الشعر الأندلسي،ص53.

[2] _ المعتمد بن عباد،الديوان،ص97.

[3] _ المصدر نفسه،ص88.

[4] _ المعتمد بن عباد،الديوان ،ص97.

هذا الوقت والفراغ من قبل حتى أن يسمح له بالتأمل على عكس ما هو عليه في أسره، يفكر ويتفلسف وقد وجد من كل هذا التمسك بمبدأ أن الله يفعل ما يشاء، فيقول:

_ اقْنَعْ بِحَظِكَ فِي دُنْيَاكَ مَا كَانَا وَعَزِ نَفْسَكَ إِنْ فَارَقْتَ أَوْطَانَ.

_ فِي اللهِ مِنْ كُلِ مَفْقُودِ مَضَى عِوَضُ فَاشْعُرُ القَلْبِ سَلْوَانَا وَإِيمَانَا.[1]

وهذا ما أعطاه القوة للصبر والأمل الذي لا يدفع للاستسلام أو اليأس فيعني أن الحياة الدنيا لا تخلو من المصائب، وحتى إن خلت الحياة منها فلا مفر ولا منأى من تذوق مصيبة الموت وهو بهذا يدرك طبيعة الحياة ويعلم منتهاها فيقول في ذلك:

_ نَعِيمٌ وَبَؤُسٌ ذَلِكَ نَاسِخٌ وَبَعْدَهَما نَسْخُ المَنَايَا الأَمَانِيَا.[2]

هذا هو المعتمد المتأمل للحياة ومآسيها وكيف هي متقلبة لا تسمر على حال ولهذا فهي أحقر من أن تكون لها درجة عالية من الاهتمام، فيحذر من طواياها وخبايا، مظاهرها.

الفنية فيقول:

_ أَرَى الدُنْيَا الدَّنِيَةُ لَا تُوَاتِي فَاحْمِلْ فِي التَصَرُفِ وَالطِلَابِ.

_ وَلَايَغْرُرْكَ مِنْهَا حُسْنُ بَزْدِلَهُ عِلْمَانِ مِنْ ذَهَبِ الذَهَابِ.

_ فَأَوَلُهَا رَجَاءٌ مِنْ سَرَابِ وَآخِرُهَا رِدَاءٌ مِنْ تُرَابِ.[3]

تحوي هذه الأبيات نظرة زاهدة لم تكن مألوفة لديه، وهو الذي كان باحثا عن الترف والمتعة في الحياة أيام السلطان، تحولت نظرته وتحولت وجهته،وفي مقام آخر يهدد من الوثوق بالحياة وهذا عن تجربة أوصلته لما هو فيه فدوام الحال من المحال حيث يقول:

_ مَنْ يَصْحَبُ الدَّهْرَ لَا يَعْدَمُ تَقَلُبَهُ وَالشَوْكُ يَنْبُتُ فِيهِ الوَرْدُ وَالأَسَى.

---

[1] _ المصدر نفسه ،ص114.

[2] _ المصدر نفسه،ص117.

[3] _ المعتمد بن عباد،الديوان، ص93.

_ يَمـرُ حِينًا وَتَحْلُو لَـهُ مـوَدَتُـهُفَقَلَـمَا جُرِحْـتُ إِلَا إِنـثَنَتْ تَأَسَـى.[1]

هذه نصيحة وتحذير من عواقب الوثوق بالحياة، المعتمد هو الناصح والفيلسوف هو المعارك لهموم الدنيا بعد أن كان ذا عز وجاه أصبح من الأسرى المهمشين يمضي بالنصائح موضحا أن الحذر لا يحمي من القدر، وأن قضاء الله لا مرد له فيقول:

_ أَصْبَحْتُ صِفْرًا يَدَيَ مِمَا تَجْوُد بِـهِ مَا أَعْجَبَ الحَادِثَ المَقْدُورَ فِي رَجَبِ.

_ ذُلٌ وَفَقــرٌ أَزَالَا عِــزَةَ وَغِــنَى نُعْمِي اللَيَالِي مِنْ البَلْـوَى عَلَى كـثَبِ.

_ قـدْ كَانَ يَسْتَلِبُ الجـبَارُ مُهْـجَتَهُ بَطْــشٌ وَيَحْيَا قَتِيلُ الفَقْرِ فِي طَلَبِي.[2]

كما استدل في وحدته وتأمله للحياة على حكمته في أبيات جاءت تظهر أن الملك للواحد القهار.

وقد جاءت هذه الأبيات متفقة مع الآية الكريمة قال تعالى "**قُلِ اللَّهُمَ مَالِكَ الْمُلْكِتُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ،إِنَكَ عَلَى كُلِ شَيءٍ قَدِيرْ**"[3] أما الأبيات فهي كالآتي:

_ وَالمُلْكُ يَحْرِسُهُ فِي ظِلِ وَاهِبِهِ غَلَبَ مِنَ العَجَبِ أَوْ شَمٌ مِنَ العَرَبِ.

_ فَحِينَ شَـاءَ الذِّي أَتَاُه يَنْزِعُهُ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا قِرَاعُ السُّمْرِ وَالقَضَـبِ.[4]

ومنه فإن المعتمد قد تنبه إلى الخلف والكون والحكمة فيه بعد توحده في الأسر وليس دون ذلك.

و- المعتمد مع شعرائه: لا شك أن المعتمد لم تمنعه قسوة الشجن وألم الجسد من كتابة الشعر بدليل أنه راسل الشعراء بقصائد متعددة، كانت حاملة في طياتها معنى الأسى

[1] _ المصدر نفسه،ص107.

[2] _ المصدر نفسه ،ص92.

[3] _ سورة آل عمران،الآية،26.

[4] _ المعتمد بن عباد،الديوان،ص92.

والمحنة ومعنى حسن الصبر، فقد فسح له الشجن مجالا للتوحد والإلهام، على نحو يشير إلى صبره وإرادته القوية، وهو الذي لا يعرف الاستسلام أو الخضوع، فقد مارس حياته الأدبية من وراء القضبان وقد تواصل مع العديد من الشعراء أمثال ابن حميدس وأبو بكر الدائن، فقد كتب لابن حميدس يعتذر منه بعد أن صرفه الخدم وهو في زيارة للمعتمد[1].

حيث يقول:

_ حُجِبْتُ فَلَا وَاللهِ مَا ذَاكَ عَنْ أَمْرِي فَأَصْغِ فَدَتْكَ النَّفْسُ سَمْعًا إِلَى عُذْرِي.

_ فَمَا صَارَ إِخْلَالُ المَكَارِمِ لِي هَوَى وَلَا دَارَ إِخْجَالٌ لِمِثْلِكَ فِي صَدْرِي.

_ وَلِكَنَّهُ لَمَا أَحَالَ مَحَاسِنِي بَدُ الدَّهْرُ شُلَتْ عَنْكَ دَأْبًا يَدُ الدَّهْرِ.[2]

فهو يشكو الزمان ويرد العيب فيه، مع الاعتذار أن ذلك لم يكن خطأه بل يطلب منه الاستماع لعذره، وأنه لم يكن من أوامره ذلك الأمر بل هو خطأ من الخدم، وهذا من تواضع المعتمد مع شعرائه وفي ذلك رد عليه ابن حميدس يقول:

_ أَمِثْلُكَ مَوْلَى يَبْسِطُ العَبْدَ بِالعُذْرِ بِغَيْرِ انْقِبَاضٍ مِنْكَ يَجْرِي إِلَى ذِكْرِي.[3]

كما خاطب المعتمد ابن زيدون وهو شاعره ووزيره في قصيدة يقول:

_ أَيُهَا المُنْحَطُ مِنَا مَجْلِسًا وَلَهُ فِي النَفْسِ أَعْلَى مَجْلِسَ.

_ بِفُؤَادِي يَقْتَضِي لَكَ حُبًا أَنْ تَرَى تُحْمَلُ فَوْقَ الرُؤُوسِ.[4]

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على حرص المعتمد في المحافظة على مشاعر من يهمه أمرهم أمثال الأصدقاء والشعراء منهم، والأسر لم يمنعه من التواصل معهم حتى في ظل الألم.

---

[1] _ ينظر،عيسى خليل محسن،أمراء الشعر الأندلسي،ص305.

[2] _المعتمد بن عباد،الديوان،ص101.

[3] _ ينظر،عيسى خليل محسن،أمراء الشعر الأندلسي ،ص102.

[4] _ المعتمد بن عباد،الديوان ،ص47.

2- المطلب الثاني: تموقع شعر الاعتقال في ديوان المعتمد بن عباد

لقد لعبت اغمائيات المعتمد دورا كبيرا في الديوان، فهي مصورة للألم والمعانات التي لحقت به في أسره، فسعيا منه لترجمة تلك الظروف لم يجد وسيلة غير الكتابة، فهو كغيره من الشعراء الذين لحقت بهم هذه المحنة، لذا فقد انتفى معه وجود المجاملة أو المحاباة بالغير، فكان شعره نابعا من القلب الجريح، ويميز الإغمائيات عن باقي قصائد الديوان الأخرى لاحتوائها عاطفة ممزوجة بين الأسى والوجدانية الخالصة[1]، ومن هذا نتعرف على موقع شعر الاعتقال عند المعتمد في الديوان، إذ أن إغمائياته قد احتلت ما عدده(293) بيتا من عدد الأبيات في الديوان وبذلك يكون شعر الاعتقال قد حصل على ما هو نسبته(33.5%) من نسبة الديوان وقصائده إذ أن الديوان قد حوى ما يقارب (835) بيتاوالذي كان معظمها قبل الأسر ما نسبته (66.5%) أي النسبة الأكبر فهي فاقت.النصف،وبالإضافة إلى اختلاف تعداد الشعر بين فترتي ما قبل الأسر وما بعده، فإن الاختلاف أيضا في المضمون فقد اختلفت الموضوعات بين ما هو قبل الأمر وما بعده وبذلك يكون اختلاف في نسب التطرق لهذه الموضوعات لديه بحسب الظروف الدافعة لذلك وهذا ما هو دافع إلى التعرض لبعض الموضوعات ونسبها والتي نجدها يتراتبها حسب ما هو أول وما هو ثاني.[2]

أ_ الغزل والخمريات: هما الموضوعان الأكثر تداولا من أشعاره في الديوان حتى أنه بلغ تعدادها في الديوان 66 قصيدة وما كان(38.5%) وهذا ما كان من شعره قبل الأسر[3] بالإشارة إلى أن هذه النسب تجمع بين هذين الموضوعين وتنوع الغزل ما بين التغزل بزوجته ما بين التغزل بنساء أخريات منها ما كن جواري، ومن غزله بزوجته يقول:

_ بُكْرَت تَلُومُ وَفِـي الفـُؤَادِ بَلَابِـلٌ سُقْهاً وَهَلْ يَثْنَى الحَلِيمُ الجَاهِلُ.

_ يَا هَـذِهِ كُـفِيَ فَـإِنِـي عَاشِـقٌ مَنْ لَا يَرُدَّ هَـوَايَ عَـنْهَا عَـادِلُ.

---

[1] _ ينظر،علي محمد سلامة، الأدب العباسي في الأندلس(تطوره وموضوعاته وأهم أعلامه)،الدار العصرية للمسوعات،بيروت،لبنان،ط1989،1،ص184.

[2] _ ينظر،علي محمد سلامة،الأدب العباسي في الأندلس(تطوره وموضوعاته وأهم أعلامه)،ص186.

[3] _ ينظر،المرجع نفسه، ص189.

_ مَنْ شَكَ أَنِيَ هَائِمٌ بِـكَ مُغْـرَمُ فَــعَـلَى هَـوَاكَ لَـهُ عَلَـىَّ دَلَائِلُ.

_ لَـوْنٌ كَـسَتَـهُ صُفْـرَةٌ، وَمَدَامِعٌ هَطَلَـتْ سَحَائِبُهَا وَجِسْـمٌ نَاحِـلُ.[1]

وهي تعبير عن عواطف صادقة، وترفا أدبيا باعتبار أنه إطراء يقصد به التغزل بزوجته التي أحبها وبقي وفيا لها دون تذمر ولا ملل من شعور يخالجه ويداعب عواطفه الكامنة.

كما تغزل بجارية فيقول:

_ قَامَـتْ لِـتَحْجِبَ الضَوْءَ قَامَتُهَا عَـنْ نَاظِـرَيَّ حَجَبَتْ عَـنْ نَاظِـرِ الغَيْـرِ.

_ عِلْمًا لَعَمْـرُكَ مِنْهَا أَنَـهَا قَمــرُ هَلْ تَحْجِبُ الشَمْسَ إِلَا صَفْحَةُ القَمَرِ.[2]

يصفها بطول قامتها وهذا وصف حي وهو ما تميز به الغزل عند المعتمد والذي كان تصوير للحظات اللهو والمجون وهو لا يعاني من أي جفى بل كان هو السيد المتمكن من عدد كبير من النساء وأورد أسماء كثيرة لهن مثل زوجته كما تغزل بكثير من الجواري مثل: سحر، وداد، جوهرة..... ولم يقف عند هذا فحسب بل تغزل في أحنك الظروف إذ قال في غلام له رآه يوم الزليقة:

_ وَلَمَــا اقْتَحَمْــتُ الـوَغَى دِرْعًـا وَقَنَّعْـتُ وَجْهَـكَ بِالمَغْـفَـرِ.

_ حَسْبُنَا مُحَيَـاكَ شَمْسُ الضُّـحَى عَـلَيْهَا سَحَــابٌ مـنَ العَنْبَرِ.[3]

وغير ذلك تغزله بجارية مشت أمامه وهي ترتدي قميص ضيق التفصيل فسكب عليها من ماء الورد، وقال:

_ عُلِقْـتُ جَـائِلَةَ الـوِشَـاحِ غَـرِيرَةٌ تَخْتَـالُ بَيــنَ أَسِـنَةٍ وَبَوَاتِـرُ.[4]

---

[1] _ المعتمد بن عباد،الديوان،23.

[2] _ المصدر نفسه،ص15.

[3] _ المعتمد بن عباد،الديوان،ص17.

[4] _ المصدر نفسه،ص14.

وقد كان في شعره الغزلي ارتباط بالخمر، أي أن حديثه في الغزل ارتبط بالخمر، فقال في ذلك:

_ مرَرْتُ بِكَرْمَـةٍ جَذَبَتْ رِدَائِيفَـقـلْتُ لَـهَا عَزَمْتِ عَلَى أَذَائِي.

_ فَقَالَتْ لِمَ مَرَرْتَ وَلَمْ تُسَلِـمْوَقَدْ رَوَيْتُ عِظَامَكَ مِنْ دِمَـائِي.[1]

فالمعتمد في أبياته هذه يحاكي الكرمة وهي ترد عليه وتذكره بأن ماَ ارتوى به من خمر كان منها إذ كان قد نسي ذلك، فكيف تكون عازمة على أذيته وهي النافعة له، وفي موضع آخر، أمر المعتمد بصناعة هلال وغزال من ذهب، ولما صيغا أهدى الغزال إلى السيدة ابنة مجاهد، والهلال إلى ابنة الرشيد. فقال:

_ بَعَثْنَا بِالغَـزَالِ إِلَى الغَـزَالِ وَلِلْـشَمْـسِ المُنِيـرَةِ بِالهِـلَالِ.[2]

وهنا أيضا غزله حسي خالي من أي عواطف صادقة وهذه هي ميزته عند الشاعر، وقد استخدم عبارات دالة على البيئة التي عاش فيها وظهر ذلك من خلال تصويره.[3]

ب- **المعتمد وأبيه:** موضوع المعتمد الثاني والأكثر أهمية بعد الغزل شعره في أبيه الذي نظم فيه عدد كبيرا من الأبيات المتنوعة الموضوعات، إذ بلغ مجموع ما كتبه في والده قد بلغ (139) بيتا، كما جاء في ديوانه وقد قسمت موضوعاته حول أبيه بين ما هو مدحاستعطاف، تنكر، طلب.....)، مدح أباه وحسب لأن المعتمد أغناه الله أغناه عن هذا لأن عزه كان أكبر من أن يسمح له بذلك، لذلك فقد اختص بمدح أبيه واستعطافه فحسبفقال في مدح أبيه قصيدة جاءت في (40) بيتا قسمت إلى مدح فقال فيه:

_ الشَمـسُ تَخْجَلُ مِـنْ جَمَالِـكَ فَتَغِيـبُ مُسْرِعَـةٌ لِذَلِــكَ.

_ وَالغَـيْثُ يَخْجَـلُ أَنْ يَصُــو بَ لِـمـَا يَـرَاهُ مـِنْ نَوَالِكَ.

---

[1] _ المصدر نفسه ،ص2.

[2] _ المصدر نفسه،ص25.

[3] _ ينظر،شوقي ضيف،العصر العباسي الثاني،دار الهادي،مصر،دط،دس،ص224.

ـ وَالبَـدْرُ يَطْلَـعُ نَـاقِـــمًاحَتَى يُتَمِـمَ مِـنْ كَمَالِـكَ.[1]

وفي موضوع الاستعطاف كتب يستعطفه وهو الجزء الثاني من القصيدة إذ هابه وخاف العقاب كتب إليه يقول:

ـ سَكِنْ فُؤَادَكَ لَا تَذْهَبُ بِكَ الفِكَرُ مَـاذَا يُعِيدُ عَلَيْكَ البَّثُ وَالحَـذَرُ.

ـ وَإِنْ يَكُنْ قَدَرٌ قَدْ عَاقَ عَنْ وَطَرٍ فَـلَا مَـرَدُ لِمَا يَأْتِـي بِـهِ القَــدَرُ.

ـ وَإِنْ تَكُنْ خَيْبَةٌ فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةٌ فَكَمْ غَزَوْتَ وَمِنْ أَشْيَاعِكَ الظَفَرُ.

وتم العفو عنه بعد سماع أبيه لهذه الأبيات، فكتب أبيات يشكره فيها حيث يقول:

ـ جَوَادٌ تَأْتِى مِنْ جَوَادِ تَطَابُقًا فَيَا كَرَمُ المَهْدِي وَيَا كَرَمُ المُهْدَى.[2]

وبذلك يكون المعتمد كتب في أبيه أبياتا جمعت فيها مواضيع خصهْ بها وحده مثل الاستعطاف والشكر والمدح، ولم يكتبها لغيره وذلك لعزة نفسه.[3]

جـ المعميات: لم يكن المعتمد بمنأى عن هذا الفن الشعري فقد نظم فيه (36) بيتا أي ما يعادل (4.5%) من شعره قبل الأسر، وكانت هذه المعميات تدور بين المعتمد ووزيره وقد بعث ابن زيدون بقصيدة رامزة إلى المعتمد، يقول:

ـ وَافَـاكَ نَظْـمُ لِي فِـي طَيِـهِ مَعْنَى مُعْمَـى اللَفْـظِ مَسْـوُرُ.

ـ مَرَامِـــهُ يَصْعُـبُ مَا لَـمْ يَبُحْ بِالسِـرِ قَمَـــرِي وَعُصْفُــورُ.

ـ وَبُلْبـُل ثُـمَ يَكَــرُ الِلــذَاتقَدَمــا، فَـالِلَفْـظِ مَكـــرُورُ.

ـ ثُمَ تـــرَى البُلْبـــلَ قَدْ حَثـهُ نَسْرٌ، بِهِ الشَفَتَيْنِ مَنْسُــورُ.

ـ ثُمَ الغُرَابُ الجُونُ يَتْلُوهُ قَمَـ ـــرِيٌ وَدَرَاجُوَزَرْزُورُ.[1]

---

[1] ـ المعتمد بن عباد،الديوان،ص41.

[2] ـ المصدر نفسه،ص34.

[3] ـ ينظر،شوقي ضيف،العصر العباسي الثاني،ص225.

واكتفى بذكر هذه الأبيات والتي يكمن حلها في الشطر الأول من رد المعتمد له، حيث قال:

_ أَنــتَ إِنْ تَغْـزُ ظَافِـرُفَـلْيَطْمَــعْ مَــنْ يُنَافــرُ.[2]

وجاءت بترتيبها كالآتي: (أ): تشير إلى النسر (ن):تشير إلى عصفور، (ت): تشير إلى البلبل، ثم يتكرر القمري ولا عصفور (أ–ن) وهكذا، (غ): تشير إلى النسر،ومنه فإن هذه الموضوعات مثلت الدور الأساسي في ديوان المعتمد وتموقعت حسب الدور الذي لعبته وأشارت إليهن فشعره بعد الأسر يغلب عليه الأسى والحزن فراح بين الشكوى، الرثاء الفخر، العتاب، التأمل والرسائل،أما موضوعات شعره بعد الأسر فنجد أنها اختلفت شكلا. ومضمونا عما ألف عن المعتمد من شعر قبل ذلك.

وقد تنوعت هذه الموضوعات التي غلب عليها الحزن[3]، كما أن الوصف اختلف كغرض عنده، وهو في الاعتقال كان وصفه مختلفان حيث أنه لم يكتف بوصف القيد يرسم الصورة الظاهرة بل أوضح حقيقته المنفردة عندما شبهه بالأسد وبالأفعى كما تجاوز ذلك عندما رمز للوحشية والبطش والقسوة فراح يتوسل إليه كما، أن أشعاره وهو معتقل تخرج طليقة على سجيتها، فوصف حالته النفسية كما هي دون تعديل أو تزييف، وصدقه في التجربة والحكاية، حال حافلة بالانكسار النفساني، والذهول السف المتأمل[4]،وقد تراوحت نتائجها مابين:

- الشكوى 40 %
- الحكمة 06 %
- العتاب 06 %
- الفخر 10 %
- الرثاء 22 %

---

[1] _ المعتمد بن عباد ،الديوان،ص156.

[2] _ المصدر نفسه،ص158.

[3] _ ينظر،بطرس البستاني،أدباء العرب في لأعصر العباسية،ص151.

[4] _ أحمد أمين،ظهر الإسلام،ج2،ص183.

- المراجعات 14 %
- خطاب المنجم 2%
- وبالنظر إلى هذه النتائج نجد أن مواضيع الحزن والألم غلبت على غيرها من الموضوعات الأخرى المصحوبة بالعاطفة الإنسانية البعيدة عما هو مؤلم ومصاحب للأسى والحزن.

_ المبحث الثاني: شعر الاعتقال عند أبي فراس الحمداني

1-المطلب الأول:موضوعات شعر الاعتقال عند أبي فراس الحمداني

تغير المكان والزمان لدى أبي فراس الحمداني ،فألف وكتب الروميات التي هي جملة من القصائد دونها وهو أسير في بلاد الروم ،يقاسي مرارة القيد ومرارة البعد عن الأحباب والأصدقاء ،ويتحمل ألوان العذاب في جسمه ،وفي نفسه مدة أربع سنوات إن لم نقل أكثر.[1]

لم يكن أبو فراس يتوقع أن يطول سجنه ليبلغ هذه الفترة وهو قريب سيف الدولة وابن عمه وساعده الإيمان ، لكن الواقع كان عكس ما تخيله وعليه فان روميات الشاعر الأسير مرآة تعكس عواطفه وما يتنازع في قلبه من خواطر ،وقد نجح في نقلها إلينا بصدق يندر وجوده في شعر غيره بل حتى في شعره هو قبل الأسر[2]، حيث يحتوي ديوان أبي فراس

[1] _ _ ينظر،أحمد أمين، ظهر الإسلام،ج2،ص166.

[2] _ أحمد أمين، ظهر الإسلام،ج2،ص166.

أغراضا شعرية و موضوعات تعددت بين كل من الشكوى، الحنين، الفخر، العتاب، المدح، الهجاء، الاستعطاف، الرثاء...).

ولكن الشاعر لم يعالج هذه الموضوعات بطريقة واحدة ولا بالمستوى نفسه، وإنما كان يطرق الموضوعات على قدر الحاجة ويعالجها بحسب طبيعتها،فهي وسائل لتحقيق ترجمات وتعابير عن العواطف والأحاسيس المختلفة أيضا[1]، ويمكن دراسة هذه الموضوعات على النحو التالي:

أ_ العتاب :لقد كان عتاب الشاعر موجه معظمه لسيف الدولة وهو ابن عمه وزوج أخته، وقد تراوح بين اللين والشدة، وبين التصريح والتلميح والرمز،وكان في بعض الأحيان مباشرا و غير مباشر، كما مازج الشاعر بين المديح تارة وبين الاستعطاف تارة أخرى عله يستميل قلب الأمير[2]، ولكن تأخر سيف الدولة عن افتداء أبي فراس، عز عليه فأرسل له بقصيدة يعاتبه فيها ولقد ابتدأ قصيدته بالمدح.

إذ يقول:

_ أَسَيْفَ الهُدَى وَقَرِيعَ العَرَبِ عَلَامَ الجَفَاءُ وَ فِيمَ الغَضَبْ ؟

_ وَأَنْتَ الكَرِيمُ ،وَأَنْتَ الحَلِيمُ وَأَنْتَ العَطُوفُ وَأَنْتَ الحدِبْ.

_ وَمَا زِلْتَ تَسْبِقُنِي بِالجَمِيلِ وَتَنْزِلُنِي بِالخَبَايَا الخَصِبْ.

_ وَتَدْفَعُ عَنْ حَوْزَتِي الخُطُوبُ وَتَكْشِفُ عَن نَاظِرَيَ الكَرَبْ.[3]

فمن خلال هذه الأبيات يبرز مدح أبي فراس لابن عمه وْاصفا إياه بالكريم صاحب العلم والسيد العطوف الحنون، كما يذكر فضله في الدفاع عنه، إلا أن هذا لم يمنع عتابه له حيث يقول:

_ وَمَا غَضَ مِنِي هَذَا الإِسَارُ وَلَكِنْ خَلَصْتُ خُلُوصَ الذَهَبْ.

[1] _ سامي يوسف أبو زيد،الأدب العباسي(شعر)،دار المسير،عمان،ط2011،1432/1،ص302.

[2] _ عبد الفتاح نافع،الشعر العباسي قضايا وظواهر،دار جرير،عمان،ط2008،1429/1،ص239.

[3] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص37.

_ فَـفِيـمَيَغِرُغْـنِبالخُمُـــولِ مَوْلـَى بِهِ نِلْتُ أَعْلَى الرُتَبْ.

_ وَكَـانَ عَنِيدًا لـذِي الجَـوَابِ وَلَكِـنْ لِـهَيْبَتِـهِ لَـمْ أُجِـــبْ.

_ أَتُنْكِرُ أَنِــي شَكَـوْتُ الزَمَانَ وَأَنِــي عَتَبْتُــكَ فِيمــنْ عَتــبْ.[1]

هكذا يبرز عتاب أبي فراس لسيف الدولة و مذكرا إياه إن الأسر لم يسبب له جزعا بل قوى عزيمة ووعيه ويوضح أنه لا يتهمه بالخمول، إلا أنه يلومه لأنه عتب عليه كباقي الأسرى ،كما يذكره بواجب الإسراع في الفداء لأنه خير للجميع باعتبار انه يجمع بينهم هو النسب الذي يجب أن لا ينسى من قبل كليهما، كما يظهر عتابه لابن عمه في قصيدة أخرى مطلعها:

_ أَمَــا لِجَـمِيـلٍ عِـنْـدَكُــنَ ثَـوَابُ وَلَا لِمُــسِيءٍ عِنــدَكُـنَ مَتَابُ.

_ فَيَا لَيْتَ شُرْبِي مِنْ وِدَادِكَ صَافِيًا وَشِرْبِي مِنْ مَاءِ الفُرَاتِ سَرَاب.[2]

ويلي هذا البيت ما هو حامل لجملة من النصائح وكأنه يعاتب سيف الدولة مع إبداء توجيهات، إذ يقول:

_ بَنِي عَمِنَا مَا يَصْنَعُ السَيْفُ فِي الوَغَى إِذَا قَّلَ مِنْهُ مــضْرَبٌ وَ ذُبــابُ.

_ بــنِـي عَـمِــنَا لَا تُنْكــرُوا الــوُدَّ إِنــنَا شِدَادٌ عَلَى غَيْرِ الهَوَانِ صِلَابُ.

_ بَـنِي عَمــنَا نَحْـنُ السَوَاعِدَ وَالضِّبَا وَيُوشِكُ يَوْمـًا أَنْ يَكُونَ ضِرَابُ.[3]

أبو فراس يوجه النصيحة لابن عمه في إسراعه بالفداء ليكون بجنبه و يدا فع عن الإمارة كما يذكره بان من خصاله القوة وعدم كرهه له، و خاصة أ ن الحرب على وشك أن تقوم فهو بحاجة له و لخبرته وقوته و هو المحارب والفارس والقائد ،فمن خلال هذه الأبيات ندرك عتاب أبي فراس غير المباشر لابن عمه فكأنه يعاتبه كيف له أن لا يسارع في

[1] _ المصدر نفسه ،ص38.

[2] _ المصدر نفسه ،ص31.

[3] _ أبو فراس الحمداني،الديوان ،ص34.

فدائه وهو يعلم بأمس الحاجة له وهذا من عادة أبي فراس إن يمهد لعتابه ومن ذلك قصيدته التي بعث بها لسيف الدولة وهو يقول :

_ هَــلْ تَعْطِـفَانِ عَـلَى العَلِيلِ لَا بِالأَسِيــرِ وَلَا بِالقَتِـيـلِ.

_ بـاتَتَ تُقَلِبُهُ الأَكــفَــا فُ سَـحَابَةُ اللَيْلِ الطَوِيـلِ.

_ يــرْعَــى النُجُــومُ السَّائـِرَاتُ مِنْ الطُلُوعِ إِلَى الأَقَـوَالِ.

_ وَاسْــتَوْحَــشَ لِـفُرَاقِــهِ يَوْمَ الوَغَى سِرْبُ الخـيُولِ.

_ وَتَعَطَلَـتْ سُمْــرُ الرِمَــاحِ وَأُغْمِدَتْ بِيضُ النُصُولِ.[1]

عندما نمعن النظر في هذه الصور الاستعطافية للشاعر الأسير المعاني من كل ما هو قاسي، سواء المرض أم العجز، وهو يصور عدم القدرة على الحركة وكذا معانات الألم والوهن وطول الليل، وكيف يصور فراغه بملاحقة النجوم من الغروب حتى الطلوع، كما يبرز افتقاده من قبل الحرب وسرب الخيول وحتى الأسلحة التي أصبحت لا نفع منها.

في غيابه،وكأنه يوجه النظر إلى مهاراته وحسن تدبيره ويستعطف للمسارعة في فدائه، ثم يلج إلى العتاب على نحو رقيق وذلك من خلال تذكير سيف الدولة بالقرابة التي بينهما. فيقول:

_ وَيَا عُدَتِي فِي النَائِبَا تِ وَظُــلَّتِي عِـنْـدَ المُقِيــلِ.

_ أَيْنَ المَحَبَةُ وَ الذِمَـا مُ ،وَمَا وَعَدْتَ مِنَ الجَمِيلِ.

_ أَحْمِلُ عَـلَى النَّفْسِ الكَرِيـ مَــةِ فِيَّ وَالقَــلْبُ الحَمُولُ.[2]

وهكذا ومما سبق التطرق إليه نجد أن أبا فراس لم يكن يعاتب سيف الدولة بطريقة مباشرة بل كان يتخذ في الدخول للعتاب بوابات متعددة منها المدح كما جاء في الأبيات الأولى وكذا الاستعطاف والفخر،إلا أن هذا لا يعني استمرار كتابات أبي فراس بهذا الأسلوب

[1] _ المصدر نفسه ،ص214.

[2] _ أبو فراس الحمداني،الديوان ،ص265.

فنجدها اختلفت فيه مواضع أخرى حيث يبرز العتاب مباشرة ومقصودة بالدرجة الأول من بين القصائد التي يشكل فيها أبي فراس العتاب مباشرة قصيدة، قال فيها:

_ زَمـانِي كُلُـهُ غَـضَبٌ وَ عَـتَبٌ وَأَنـتَ عَـلَـيَّ وَالأَيـامُ أَلــبُ.

_ وَعَـيْشُ العَـالَمِينَ لَدَيْكَ سَهْلُ وَعَيْشِي، وَحْدَهُ بِفِنَاكَ صَعْبُ.

_ وَأَنْتَ، وَأَنْتَ دَافِـعٌ كُلَ خَطْبٍ مَعَ الخَطْبِ المُلِمِ عَلَيَّ خَطْبُ.[1]

ففي هذه الأبيات يبرز عتاب أبي فراس لابن عمه مباشر حيث يقول كيف أن المصائب تتكاثف عليه و سيف الدولة لا يوليه أي اهتمام دون غيره من الناس وكيف أن عيش العامة عنده سهل وعيشه صعب وعسير كما نجد عتابه واضحا في قوله :

_ تـلْـكَ المَـوَدَاتُ كَـيـفَ تُهْمِلُهَا؟ تِلْكَ المَوَاعِيدُ، كَـيْفَ تُغْفِلُهَا؟

_ أَيْـنَ المَعَالِـي التِي عُرِفْـتَ بِهَا تَقُــولُهَا دَائِمًا وَتَفْعَـلُهَــا.[2]

يعاتبه كيف ينسى القرابة والمواعيد وكيف يرمى بالنعيم والأسير في الشقاء والتعب وكيف تنازل عن المعالي والرقي التي دائما يشيد بها ويفعلها وكأنه يقول ما ينتظر منه أكثر مما قال وأستعطف فيبدو أن الشاعر قد ضاق ذرعا من كثرة الاستعطاف والمدح وحتى العتاب الذي لم ينتج عنه أي تجاوب من سيف الدولة فيقول :

_ كَمْ إِلَى ذَا العِتَابُ وَلَيْسَ جُرْمٌ وَكَـمْ ذَا الاعْتِذَارُ وَلَيْسَ ذَنْـبُ.

_ فَـلَا بِالشَـامِ لِـذَّ بَقِيَ شُـرْبٌ وَلَا فِي الأَسْرِ رَقَّ عَلَيَّ قَـلْبُ.[3]

فمن غير المعقول إن يوجه له بكل هذه القصائد وكل هذه الكلمات العتابية دون الاستجابة ولا حتى إبداء الاهتمام ،فالتجاهل يقتله ويحير أمره، وهذه الحيرة دفعت الأم بالدفاع عن ولدها ولفت انتباه سيف الدولة إلى وضعه ،وقد رأت أن الوضع قد عظم، إلا أنه ردها خائبة فكتب له أبو فراس يعاتبه قائلا:

---

[1] _ المصدر نفسه ،ص40.

[2] _ المصدر نفسه،ص274.

[3] _ أبو فراس الحمداني،الديوان ،ص40.

_ يَا حَسْـرَةٌ مَا أَكَادُ أَحْمِلُهـا آخِـرُهَا مُـزْعِـجٌ وَأَوَلُـهَا.[1]

وقيل الولوج إلى موضوع آخر تجدر الإشارة إلى عتاب أبي فراس الذي لم يقتصر على سيف الدولة وحده، ومن ذلك عتابه لرفيق سجن له فيقول:

_ أَتَتْرُكُ إِتْيَـانَ الـزِّيَـارَةِ عَـامـدًا وَأَنْتَ عَلَيْهَا لَوْ تَشَاءُ قَدِيرُ.

_ فَكَـمْ كَـانَ رَأْيٌ فِي لِقَائِكَ نَافِذًا وَرَأْيُـكَ فِيـهِ وَنِيـَةٌ وَفُتُـورُ.[2]

ومنه فان عتاب أبي فراس تنوع بين ما هو ذا بداية موحية وغزلية و بين ما هو عتاب مباشر دون مقومات، كما تنوع بين عتاب سيف الدولة وعتاب الأصحاب ولم يلتزم بالشخص الواحد و لا بالأسلوب الواحد.

ب–**الشكوى**:ليس هناك أقسى من أن يفقد المرء جريته فما بالك بفارس مثل أبي فراس طالما ملأ الدنيا ضجيجا،وتعود أن تكون الحرب والفروسية طعامه وشرابه،وقد وجد نفسه فجأة في ديار غريبة ،وفي قبضة الأعداء الذين طالما دوخهم وأذلهم.

وبعد إن ملئ السمع والبصر أصبح يعيش في وحدة تهون أمامها كل التجارب، كان طبيعيا أن يشكو[3]، وتبرز الشكوى بجلاء في روميات أبي فراس وهي تصدر من قلب جريح يحس المرارة والأسى وتتصف بالصدق في التعبير عن سوء حاله في الأسر[4]،ويعبر عن مصابه تعبيرا يقطر أسى ويذوب حسرة، فيقول:

_ مُصَابِي جَلِيـلُ، وَالعَـزَاءُ جَمِيـلُ وَظَـنِّي بِـأَنَ اللَّـهَ سَوْفَ يُدِيـلُ.

_ جِرَاحِـي تَحَامَاهَا الأُسَاةُ مَخُوفَةٌ وَسُقْمَانِ، بَـادٍ مِنْهُمَا وَدَخِيـلُ.

_ وَأَسْـرٌ أُقَاسِيـهِ، وَلَيْـلٌ نُجُومُـهُ رَى كُـلَّ شَيْءٍ غَـيْرَهُنَّ يَـزُولُ.[5]

---

[1] _ المصدر نفسه ،ص271.

[2] _ المصدر نفسه،ص153.

[3] _ شوقي ضيف،العصر العباسي الأول،ص208.

[4] _ سامي يوسف أبو زيد،الأدب العباسي(شعر)،ص306.

[5] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص260.

لما برز في أشعاره وشكواه مناجاته لحمامه تنوح على الشجرة مقابله يقول :

_ أَقُولَ وَقَـدْ نَاحَتْ بِقُـرْبِي حَمَامَةٌ أَيَا جَارَتَـا، هَـلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِـي؟

_ أَيَا جَارَتَا، مَا أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا تَعَـالِي أُقَـاسِمُـكِ الهُمُومَ تَعَالِي.

_ لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى مِنْكِ بِالدَّمْعَةِ مُقْلَةٌ وَلَكِـنَ دَمْـعِي فِي الحَـوَادِثِ غَالِ.[1]

هو يشكو للحمامة عدم إنصاف الدهر له وكيف آل إلى هذا الحال، من مرارة الغربة والهموم و العذاب الذي يعاني منها دون معين ولا مؤنس له،[2]وقد قاسى أبو فراس في معتقله، الظلم، والقسوة، والقيد، والغربة ووحشيتها والمرض والألم لحق به الحسد والشماتة، ومنه فان كل ما تعاظم عليه دفعه إلى الشكوى لتعدد هذه المصائب.

إذ يقول:

_ فَلَـمَا مَضَـى عُمـرُ الشَبِيبَةِ كُلُّـــهُ وَفَــارَقَــنِي شَرْخُ الشَبَابِ مُـوَدِّعًا.

_ تَطَلَّبـتُ بَيْنَ الهَجْرِ وَالعِتَابِ فُرَجَةِ فَـحَـاوَلْـتُ أَمْــرًا لَايـرَامُ مُمـعَـنـا.

_ وَصِـرْتُ إِذَا مَا رُمْتُ فِي الخَيْرِ لَذَةٌ تَتَبـعُهـا بَيــنَ الهُمــوُمِ تَـتَبــعَا.

_ وَهَـا أَنَا قَـدْ حَلَـى الزَمَانُ مَفَارِقِي وَتَوخَنِـي بــالشَّــيْبِ تَاجًـا مُرَصَعَا.

_ فَـلَوْ أَنَنِـي مَكنْـتٌ مِـمَا أُرِيــدُهُ مِنْ العَيْشِ يَوْمًا، لَمْ يَجِدْ فِيَّ مَوْضِعَا.

_ أَمَـا لَيْلَةٌ تَمْضِي وَلَا بَعْضُ لَيْلَةِ سُــرُ بِــهَا هَـذَا الفُــؤَادُ المـفَجَــعَا.

[1] _ المصدر نفسه،267.

[2] _ سامي يوسف أبو زيد،الأدب العباسي(الشعر)،ص312.

_ أَمَا صَـــاحِبَ فَرْدٍ يَدُومُ وَفَـاؤُهُ فَيَصْفَى لِمَنْ أَصْفَى وَيَرْعَى لِمَنْ يَرْعَى.[1]

فهي الهموم والمصائب والغربة والسجن، وما زاد على ذالك كيد الأعادي وشماتتهم وعدم الوفاء من أقرب الناس، فشكواه من الدهر والصحب الحزن الألم لم يترك له حتى القدرة على الصبر حتى وإن أوجد العوامل. فشكواه تهون عنه بعض الألم ، وتنفس عن خاطره. وما يجول فيه،[2]وهذا ما دفعه إلى الشكوى بالا شارة إلى كل حديث عن حدة قول في الشكوى من ألا سر وكذا غدر الناس:

_ يَـالَيْلُ مـَا أَغْفَـــلَ عَـمَا بِـي حَـبَـائِـبِـي فِـيكَ وَأَحْبَـابِـي.

_ يـَالَيْلِ نَامَ النَّأس عَنْ مَوْضِعِي نَـاءٍ عَـلَى مَضْجِـعِي نـَابِي.

_هبـت لـــه ريـــح شـــاميـــة متْـــتُ إلـــى القلب بأنسابي.

_أدت رســالاتي جيِـبٍ لنـــا فهمتـــها من بين أصحـابي.[3]

كما تسبب المرض له بالشكوى أيضا فقال :

_ فَـلَا تَصِفْـنَّ الحَرْبَ عِنـْدِي فَإِنَهَا طَعَـامِي مـُذْ بِعْتُ الصِّبَا، وَشُرْبِـي.

_ وَقَدْ عَرَفْتُ وَقْعَ المَسَامِيرُ مُهْجَتِي وَشَقَقَ ،عَنْ رُزْقِ النُّصُولِ إِهَابِـي.

_ وَلَجَجْـتُ فِي حُـلْوِ الزَمـَانِ وَمرُهِ وَأَنْفَقْتُ مِنْ عُمـْرِي بِغَيـْرِ حِسَابِي.[4]

---

[1] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص206،205.

[2] _ ينظر،عبد الفاتح نافع،الشعر العباسي قضايا وظواهر،ص240.

[3] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص66.

[4] _ أبو فراس الحمداني،الديوان ،ص42.

شكا هذا الحال بعد أنشفى منجرح السهم الذي أصابه في فخذه ، والذي كان السبب في أسره،[1]وهو ألم جسدي، كما شكا ألم آخر لم ينتج عن جرا حبل عن مواقف سببت له ألم نفسي وعبارات الشامتين، يقول :

_ تَكَاثَرَ لُوَامِي ،عَلَى مَا أَصَابَنِي كَأَنَ لَمْ تَنُبْ إِلَا بِأَسْرَى النَوَائِبِي.

_ يَقُولُونَ لَمْ يَنْظُرْ عَوَاقِبَ أَمْرِهِ وَمِثْلِي مَنْ تَجْرِي عَلَيْهِ العَوَاقِبُ.

_ أَلَمْ يَعْلَمْ الذِّلَانِ أَنَ بَنِي الوَغَى كَذَلِكَ سَلِيبُ بِالرِّمَاحِ ،وَسَالِبُ.[2]

ويقول في أبيات أخرى من هذه القصيدة ما هو أكثَر شكوى وأعظم ألم:

_ أَرَى مِلْئَ عَيْنِي الرَدِيَ فَأَخُوضُهُ إِذَا لَمَرَتْ قَدَامِي وَخَلْفِي المَعَايِبُ.

_ وَاعْلِمُ قَوْمًا لَوْ تَتَعْتَعَتُ دُونَهَا لَأَجْهَضَنِي بِالذَّمِ مِنْهُمْ عَصَائِبُ.

_ وَمُصْطَغِنُ لَمْ يَحْمِلْ السِّرُ قَلْبَهُ تَلَفَتَ ثُمَّ إِغْتَابَنِي ،وَهُوَ هَائِبُ.[3]

و يقول :

_ إِذَا الخِلُ لَمْ يَهْجُرْكَ إِلَا مَلَالَةٌ فَلَيْسَ لَهُ إِلَا الفُرَاقُ عِتَابُ.

_ بِمَنْ يَثِقُ الإِنْسَانُ فِيمَا يَنُوبُهُ وَمِنْ أَيْنَ لِلْحُرِ الكَرِيمِ صِحَابُ.

_ وَقَدْ صَارَ هَذَا النَّاسُ إِلَا أَقَلَهِمْ ذِئَابًا عَلَى أَجْسَادِهِنَ ثِيَابُ.

---

[1] _ المصدر نفسه،ص42.

[2] _ المصدر نفسه ،ص44.

[3] _ المصدر نفسه،ص45،44.

_ تَغَابَيْتُ عَنْ قَوْمِي فَظَنُوا غَبَاوَةٌ بِمُفْرَقِ أَغْبَانَا حَصَى وَتُرَابُ.[1]

أبو فراس هنا، هنا يصف الأقارب وما هم عليه ولم تقتصر شكواه على هذا، بل خصص قصيدة وبعثت بها لوالدته يغريها ويشكو لها سوء الحال ومدى المعاناة التي يلاقيها والمصائب العصبة من مرض ووجع لم يجد له علاج ولا فرج إلا الصبر ومسامرة للنجوم شاكيا لها طول الليالي في المعتقل، فيقول:

_ مُصَابِي جَلِيلُ وَالعَزَاءُ جَمِيلُ وَظَنِي بِأَنَ اللهَ سَوْفَ يَدِيلُ.

_ جِرَاحٌ، وَأَسْرٌ، وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ أَحْمِلُ أَنِي بَعْدَهَا لَحَمُولُ.

_ وَإِنِي فِي هَذَا الصَبَاحِ لَصَالِحُ وَلَكِنَ خَطْبِي فِي الظَلَامِ جَلِيلُ.

_ جِرَاحٌ تَحَامَاهَا الأُسَاةُ مَخُوفَةٌ وَسُقْمَانِ بَادٍ مِنْهُمَا وَدَخِيلُ.

_ وَأَسْرٌ أُقَاسِيهِ وَ لَيْلٌ نُجُومهُ أَرَى كُلُ شَيْءٍ غَيْرَهُنَ يَزُولُ.

_ تَطُولُ بِي السَاعَاتُ وَهِيَ قَصِيرَةٌ وَفِي كَلِ دَهْرٍ لَا يَسُرُكَ طُولُ.[2]

يرى أن كل شيء متحرك وزائل إلا النجوم وطول الليل ثابت،وكأن الوقت لا يتحرك لطول ما يمر عليه من ليل ونهار، ومن هنا نجد أن موضوع الشكوى قد تنوع عند أبي فراس الحمداني ما بين الأصحاب والأهل وأحوال اعتقاله، يبرز وحدته في المحنة فلا مساعد ولا معين وكجانب آخر لشكواه مخاطبته لموجودات الطبيعة شاكيا لها علته، ربما وجد لديها العزاء والسلوى ما دام الصديق والرفيق والأهل وحتى الشامتين صدوه.

وكانوا ضده عوض أن يكونوا سنده، وهذا كله يترجم مدى رهافة حس أبو فراس الحمداني[3]،حيث أنه تشارك المحنة مع حمامة وشكى لها يقول :

_ أَيَا جَارَتَا مَا أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا تَعَالِي أُقَاسِمُكِ الهُمُومَ تَعَالِي.

---

[1] _أبو فراس الحمداني،الديوان ،ص31.

[2] _ المصدر نفسه،ص260.

[3] _ ينظر،فوزي عيسى،في الشعر العباسي،ص117.

_ تَعَالِي تَرَيْ رُوحًـــا لَدَيَّ ضَعِيفَـةٌ تَرَدَدُ فِـــي جِسْـمٍ يُعَــذَّبِ بَالِ.

_ أَيَضْحَكُ مَسْــرُورٌ وَتَبْكِي طَلِيقَةٌ وَيَسْكُـتُ مَحْزُونٌ وَيَنْدِبُ سَـالِ.

_ لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى مِنْكِ بِالدَمْعِ مُقْلَةٌ وَلَكِنْ دَمْعِـي فِـي الحَوَادِثِ غَالِ.[1]

ومن الغريب أن نشعر هذه الحمامة بالحزن، مع أنها تتمتع بحريتها في الحركة والطيران، ويقارب الشاعر حالته بالحال الذي هي فيه، وإن دل على شيء فهو يدل على أسى الشاعر وحزنه لعدم وجود مؤنس له غير هذه الحمامة التي تنوح على الشجرة فيترجم لها همومه وأحزانه و يشكو إليها عله يجد عندها شفاء ،وهذه صورة أخرى للشكوى في يوم عيد يقول:

_ يَا عِيـدُ مَـا عُــدْتَ بِمَحْبـُوبٍ عَلَـى مَعْنَــى القَلْبِ مَكْـرُوبُ.

_ يَـا عِيـدُ قَـدْ عُـدْتَ عَلَـى نَاظِرِ عَنْ كُلِ حَسَنٍ فِيكَ مَحْجُوبُ.

_ يَـا وَحْشَـةَ الـدَارِ التِـي رِيُـهَا أَصْبَـحَ فِـي أَثْـوَابٍ مـرْبُوبٍ.[2]

لم يعد العيد محبوب لدى الشاعر كما كان وهو ليس بأهل للعيد ولا الفرح به، وكان الحال ليس بالحال، فالعيد سابقا كان غير ماهو عليه الآن وهذه شكوى لمآسي حتى أن الفرح لم يعد طعمه كما كان[3]، ومنه شكوى أبا فراس لم تقتصر على حال واحد ولا على شخص واحد فقد تعددت مواضيعه، شكى من الصحب والشامتين شكى من الزمان.والمرض،وأن الألم والوحدة وهذه هي حاله في سجنه وهو يشكو لكل من عوامل الطبيعة وأهل البلد .

ج-**الفخر** : إن الفخر من المواضيع الشعرية التي تناولها العديد من الشعراء قديما وحديثا وقد طرق أبو فراس نحو لافت للنظر ،وافتخر بما هو شخصي وما هو عام ، فقد كان عزاء له في اعتقاله، وعاملا يساعد على الصبر وبذلك يتذكر أيامه في قصر السلطة

[1] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،267.

[2] _ المصدر نفسه ،42،43.

[3] _ فوزي عيسى،في الشعر العباسي،ص116.

وبطولاته فجمع بين الفخر بالذات والفخر بقومه وناس وفيما يخص فخره بنفسه وبذاته وقومه، فقد ألف قصيدة جاء مطلعها رداً على من شمتوا فيه أثناء أسره وكانوا من العدى عوض الأصحاب والأحبة فيقول :

_ مَنْ كَـــــانَ سُرَ بِمَا عَزَا نِي فَلْيَمُتْ ضُرًا وَهَـــزْلاً.

_ لـمْ أَخَـلْ فِيـمَا نَابَـنِـــي مِــنْ أَعَـــزَ وَأَنْ أَجَـــلاً.

_ رُعْـتُ القُـلُوبَ مَـهَابَــةٌ وَمَــلَأْتُـهَا فَـضْـلًا وَنُبـلًا.

_ مَـا غَـضَّ مِنـِي حَادِثًاوَالقَـزْمٌ قَـزْمٌ حَـيْثُ حَــلَا.

_ إِنِــي حَـلَلْـتُ فَـإِنَـمَــا يَدْعُونَنِي السَّيـفُ المُحَلَي.

_ فَلَئِـنْ خَلَصْـتُ فَـإِنَـنِـي شَرْقُ العِدَى طِفـلًا وَكَهْـلًا.

_ مَـا كُنْـتُ إِلَا السَّيْـفَ زَادَ عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ صَقْلًا.[1]

هنا نلاحظ أن هذه الأبيات حاملة لمعنى ساخر يوجهه لمن شمتوا به وهو في أسر الروم فيولي هذا الجانب هام ليبرز فيه أنه العزيز المكرم عند الروم، فهو لا يلاقي غير الرفعة والجلال[2] كما يفخر أيضا بفضائله النفسية والأخلاقية الحميدة.

حيث يقول :

_ سَتَـذْكُرُ أَيَامـِي نَمِيـرٌ وَعَـامِـر وَكَعْبٌ عَلَى عِلَاتِهَا وَكِـلَابُ.

_ أَنَـا الجَـارُ لَا زَادِي بَطِيءٌ عَلَيْهِمْ وَلَا دُونَ مَالِي لِلْحَـوَادِثِ بَابُ.

[1] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،270،269.

[2] _ ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ص180.

_ وَلَا أَطْلُبُ الـعَوْرَاءَ مِنْـهُمْ أُصِـيبُهَا وَلَا عَوْرَتِي لِلْـطَالِبِينَ تُصَابُ.

_ وَأَسْطُو وَحُبِي ثَابِتٌ فِي صُدُورِهِمْ وَأَحْـلُمُ عَـنْ جِهَالِهِـمْ وَأَهَابُ.[1]

وكان فخر أبى فراس يهدف إلى تشجيع سيف الدولة على فدائه مذكرا إياه أن الفداء لن يعود نفعه على الأسير فحسب، ولكن فائدته ستعود عليهم قبل أن تعود عليه، فليس من السهل أن يجدوا فتى مثله يدافع عن أحسابهم بلسانه وكلماته ويدافع عنهم بحسامه [2]، كما مزج فخره بنفسه مبينا فضله على قومه، وما مدى أهميته وقيمته العالية في الوجود بينهم.

حيث يقول :

_ سَيَـــذْكُرُنِي قَوْمِـي إِذَا جَـدَّ جِدُهُـمْ فِي اللَّيْلَةِ الظَلْـمَـاءِ يُفْتَقَـدُ البـَدْرُ.

_ فَإِنْ عِشْتُ فَالـطَعْنُ الـذِي تَعْرِفُونَهُ وَتِلْكَ القَنَا، وَالبِيضُ وَاضُمْرُ الشُقْرُ.

_ وَإِنْ مِـتُ بِالإِنـسَانِ لَابـُدَ مَيِـتُ وَإِنْ طَالَـتْ الأَيَـامُ وَنْفَسَـحَ العُمْـرُ.

_ وَلَوْ سُدَّ غَيْرِي،مَا سَدَدْتُ اكْتَفَوْا بِهِ وَمَا كَانَ يَغْلُو التِبْرُ لَـوْ نَفَـذَ الصِفْرُ.[3]

في هذا يبرز فخره بنفسه و يحاول تذكير قومه أنه لا يدرك المرء قيمة الشخص إلا إذا فقده، وأن له مكانة عالية لدرجة أنه يترك فراغا كبيرا إذا ما غاب، ويختم قصيدته هذه بالانتقال من الفخر بنفسه إلى الفخر بالجماعة.

فيقول :

_ وَنَحْـنُ أُنـَاسٌ ،لَا تـُوَسَـطُ عِنـْدَنَالَنَا الصَّدْرُ،دُونَ العَالَمِينَ أَوْ الغَيــْرُ.

[1] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص33.

[2] _ فوزي عيسى،في الشعر العباسي،ص121.

[3] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص182.

ـ تَهُونُ عَلَيْنَا فِي المَعَالِـي نُفُوسَـنَاوَمَنْ خَطَبَ الحَسْنَاءَ لَمْ يَغْلُهَا المَهْرُ.

ـ أَعَزُ بَنِي الدُنْيَا، وَأَعْلَى ذَوِي العُلَا وَأَكْرِمْ مَـنْ فَـوْقَ التُـرَابِ وَلَا فَـخْرُ.[1]

وفي فخر من نوع آخر جمع أبو فراس السخرية بالفخر ويبرز هذا في قصيدة للروم حيث فخر بنفسه وسخر منهم، فقال:

ـ يَمَنُونَ إِنْ خَلَوْ ثِيَابِي وَ إِنَمَـا عَلَـي ثِيَـابِ مِـنْ دِمَائِهِـمْ حُمْرُ.

ـ وَقَائِمَ سَيْفِي فِيهِمْ انْدُقَ نَصْلُهُ وَأَعْقَابُ رُمْحِي، فِيهِمْ حَطَمَ الصَّدْرُ.[2]

يفخر بشجاعته وبطولته وشجاعته في مواجهة الروم ويسخر منهم كيف خلو عليه ثيابه وهي ملونة بدمائهم ودماء قتلاهم،كما مزج الفخر بالشكوى،فقال :

ـ يَعِـزُ عَلَـيَ الأَحِبـَةَ بِـالشَـامِ حَبِيبٌ بَـاتَ مَمْنُوعَ المَنَامِ .

ـ تَبِيتُ هُـمُومُـهُ وَاللَـيْلُ دَاجٍ تُقَلِبُهُ عَلَـى وَخْـزِ السِهَـامِ.

ـ يَؤُولُ بِهِ الصَبَاحُ إِلَى الصَبَاحِ وَيُسَلِمُهُ الظَـلَامُ إِلَى الظَلَامِ.

ـ وَإِنِـي لَصَبُـورٌ عَلَـى الرَّزَايَا وَلَكِنَ الكَـلَامَ عَلَـى الكَـلَامِ.

ـ جُرُوحٌ لَا يَزَلْـنَ يَـرِدْنَ مِنِي عَلَى جُرْحٍ قَرِيبِ العَهْدِ دَامِ.

ـ وَبِاللهِ الـدِفَاعُ وَأَيِ سَهْـمٍ أُحَـاوِلُ دَفْعَـهُ وَاللَّـهِ رَامِ.[3]

يبرز فخره في غيره عن قوة صبره رغم الألم والعذاب،فبعد تصوير همومه ومرضه يصور قوة نفسية التي ساعدته على الصبر ومداواة جروحه رغم الألم،وجاء في قصيدة أخرى فخره بنفسه ومقابلها حط من قدر الروم فقال:

ـ تَأَمَلَنَـي الدِمَسْتِيقُ إِذَ رَآنِي فَأَبْصَرَ صِبْغَةَ اللَيْثِ الهُـمَامِ.

---

[1] ـ ـ أبو فراس الحمداني،الديوان ،ص183.

[2] ـ المصدر نفسه،ص182.

[3] ـ المصدر نفسه ،ص310،309.

_ أَتَذْكُرُنِي كَأَنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي بِأَنِي ذَلِكَ البَطَلُ المُحَامِي.

_ وَأَنِي إِذَ نَزَلْتُ عَلَى دَلْوِكَ تَرَكْتُكَ غَيْرَ مُتَصِلِ النِّظَامِ.[1]

يشير إلى أنه الليث الهمام والبطل والمنتقمن وهذا هو الفخر بالذات والنفس، وباستمرار أبي فراس في الفخر بنفسه يمضي ليقول :

_ وَإِنِي لَجَرَّارٌ لِكُلِ كَتِيبَةٍ مُعَوَدَةٍ أَلَا يَخِلَ بِهَا النَّصْرُ.

_ وَإِنِي لَنَزَالٌ بِكُلِ مَخُوفَةٍ كَثِيرٍ إِلَى نِزَالِهَا النَظَرُ الشَّزْرُ.

_ فَأَظْمَأُ حَتَى تَرْتَوِي البِيضُ وَالقَنَا وَاسْغَبُ حَتَى يَشْبَعَ الذِئْبُ وَالنَسْرُ.[2]

وهكذا كان ذكر الماضي يدفعه إلى الفخر به ، وذكر بلائه الحسن فيه ، وذلك ضرب ولا ريب من ضروب التسلية تخفف اللوعة على نفوس المحرومين.[3] ومن هذا نجد أن الفخر يشغل مساحة واسعة في شعر أبي فراس عامة وفي رمياته خاصة، وقد أشار في إحدى مقطوعاته إلى أن الفخر هو غايته من الشعر[4]، حتى لا يكاد يقف جل شعره.

عليه إذ يقول :

_ الشِعْرُ دِيوَانُ العَرَبْ أَبَدًا وَعُنْوَانُ الأَدَبُ.

_ لَمْ أَعُدَّ فِيهِ مَفَاخِرِي وَمَدِيحِ آبَائِي النَجَبُ.

---

[1] _ أبو فراس الحمداني، الديوان ،صَ310.

[2] _ المصدر نفسهْ ،ص152.

[3] _ سامي يوسف أبو زيد،الأدب العباسي(الشعر)،ص121.

[4] _ المرجع نفسه،ص122.

_ وَمَـقْطَعَـــاتِ رُبَـــمَـــا حَلِيـــتُ مِنْهُـــنَ الكُتُبُ.

_ لاَ فِي المَدِيحِ وَلَا فِي الهِجَا ءِ وَلَا المُجُونِ وَلَا اللَعِبُ.[1]

فالفخر هو الغاية التي يطمح اليها أبو فراس من نظم الشعر وقد سعى جاهدا للوصول إلى غايته ، حتى ليكاد يستغرق شعر ، والحق أنه أعاد الفخر إلى عصوره الزاهية، ففخر بأمجاد قبيلته الكبرى تغلب وفخر بأسرته الحمدانية ومآثر قومه بقلائد من شعره، وترافق الفخر مع شخصيته وقد عز عليه أن يقع في أسرى الروم الذين طالما غزا حصونهم ودحر كتائبهم، ونجد الفخر في روملياته أعلى موت، وأجد عاطفته أكثر توهجان فهو يمثل جانب تعويضي مهم وهو يقف مأسورا وجريحا مخذولا من الجميع.

د–الرثاء : اقتصر رثاء أبي فراس في روميا ته على بعض الأقارب ،فقد رثى أمه أخت سيف الدولة ،ويتجلى ذلك في جملة قصائده ،وبخاصة الأم هذه الأخيرة التي كان ارتباطه بها كبيرا ،كان يشكوا لشكواها ويحزن لألمها وحزنها[2]،هي الأم التي ماتت وحبيبها بعيدا عنها ،فما كان له إلا أن يرثيها بجملة أبيات يقول فيها:

_ أَيَـا أُمَ الأَسِيـرِ سَقَاكِ غَيْثٌ بِكُرْهٍ مِنْكِ مَا لَقِـيَ الأَسِيــرُ.

_ أَيَـا أُمَ الأَسِيـرِ سَقَاكِ غَيْثٌ تَحَـيُرَ لَا يَقُومُ وَلَا يَسِيـــرُ.

_ أَيَـا أُمَ الأَسِيرِ سَقَاكِ غَيْـثٌ إِلَى مَا بِالفِدَاءِ يَأْتِي البَشِيرُ.

_ أَيَا أُمَ الأَسِيـرِ لِمَنْ تُرَبِـى وَقَدْ مِتِ ،الذَوَائِبُ وَالشُعُورُ.[3]

_ إِذَا ابْنُكِ سَارَ فِي بِرٍ وَبَحْرٍ فَمَنْ يَدْعُو لَهُ أَوْ يَسْتَجِيـرُ.[4]

أبيات ذات عاطفة صادقة ناتجة عن حزن عميق المّ بالشاعر ،لذا نجده يدعو لأمه بالسقيا، ويرى أن فرحته بالكلام المؤمل ستكون ناقصة وبموتها قد خسر نصيرا صادقا

---

[1] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص29.

[2] _ سامي يوسف أبو زيد،الأدب العباسي(الشعر)،ص307.

[3] _ المصدر نفسه، ص183.

[4] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص183.

،وكيف انه حرم من دعواتها الصادقة له، ثم يمضي ويشرح كيف تلقى صدمة وفاة أمه وهو أسير في بلاد الروم و كيف أن الحياة اسودت في وجهه وفقد طعم الفرح أبدا فيقول :

_ حَـــرَامٌ أَنْ يَبِيتَ قَـرِيرَ عَيْـنٍ وَلُؤْمٌ أَنْ يُلِمَ بِهِ السُـرُورُ.

_ وَقَـدْ ذُقْـنَ المَنَايَا وَالــرَزَايَا وَلَا وَلَدٌ لَدَيْكَ وَلَا عَشِــيرُ.

_ وَغَابَ حَبِيبُ قَلْبِكَ عَنْ مَكَانٍ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ بِهِ حُضُورُ.[1]

هو الفتى الفاقد للأم وبهذا فقد طعم الراحة والنوم،ويرى انه من اللؤم أن يعيش الفرح والموت أخذ منه أغلى ما لديه ومن كانت الفرح والسند، وفقدان العزيز الغالي يؤدي إلى تذكر كل أمر جميل ومميز لديه وهذا ما قام به أبو فراس فقد مضى في الحديث عن كل خصال أمه ومزاياها، حيث يقول:

_ لِيَبْكِكِ كُلُ يَوْمٍ صُمْتِ فِيهِ كَصَابِرَةٍ،وَقَدْ حَمِيَ الهَجِيرُ.

_ لِيَبْكِكِ كُلُ لَيْلٍ قُمْـتِ فِيهِ إِلَى أَنْ يَبْتَدِئَ الفَجْرُ المُنِيرُ.

_ لِيَبْكِكِ كُلُ مُضْطَهَدٍ مَخُوفٍ أَجَرْتِيهِ وَقَـدْ قَــلَّ المُجِيرُ.

_ لِيَبْكِكِ كُـلُ مِسْكِيـنٍ فَقِيـرٍ أَغَثْتِهِ وَمَا فِي العَظِيمِ دَيْرُ.[2]

يرثيها ويعزى كل فقير ومِسكين عن فقدان هذه الأم الحنون،ويرجو أن يشفع لها كل عمل خير قامت به،يرثيها و يعزى كل فقير ومسكين عن فقدان هذه الأم الحنون ويرجو أن يشفع لها كل عمل خير قامت به من صوم وقيام ليل وكل مساعدة لمسكين وفقير أغاثته.وهي من مآثرها،[3]هذا المصاب لم يمنعه من البكاء عليها وتعزيته لنفسه، ذاكرا أن الموت نهاية كل حي، فيقول :

_ أَيَـا أُمَــاهُ كَـمْ هَـمٌ طَوِيـــــلٌ مَضَى بِكِ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ نَصِيرًا.

---

[1] _ المصدر نفسه،184،183.

[2] _ المصدر نفسه ،ص184.

[3] _ فوزي عيسى،في الشعر العباسي،ص128.

_ أَيَـا أُمَـاهُ كَمْ بُشْرَى بِقُرْبِـــي أَتَتْكِ وَدُونَهَا الأَجَلُ القَصِيـرُ.

_ إِلَـى مَنْ أَشْكِي ؟وَلِمَنْ أُنَاجِي إِذَا ذَاقَتْ بِمَا فِيهَا الصُـدُورُ.

_ بِـأَيِ دُعَـــاءِ دَاعِيَـةٍ أَوْقَــى بِأَيِ ضِيَاءِ وَجْهٍ أَسْتَنَـــيرُ.

_ بِمَــنْ يَسْتَدْفِعُ القَدَرُ المُوَفَى بِمَنْ يَسْتَفْتِحُ الأَمْرُ العَسِيرُ.[1]

ولتعزية نفسه يذكر أن الموت نهاية كل حي فيقول :

_ نُسَلِي عَنْكِ أَنَا عَنْ قَلِيلٍ إِلَى مَا صِرْتُ فِي الأُخْرَى نَصِيرُ.[2]

وهكذا نرى أن الشاعر كان مبدعا في رثائه لأمه ،وقد نجح لصدق عاطفته في كسب مشاعرنا وعواطفنا لصالحه وكل ما قاله في هذه القصيدة إحساسات صادق،وتعبير صاف عن عواطف قوية متمكنة[3]، ولأن موضوع الرثاء يرتبط بالتعزية ،فقد كتب أبو فراس يعزي سيف الدولة في ابنه (أبى المكارم) الذي هو أبن أخته، قائلا:

_ يَا عَمْرُ اللهِ سَيْفُ الدِينِ مُغْتَبِــطَا فَكُـلُ حَادِثَــةٍ يَرْمِــي بِــهَا جَـــلَلُ.

_ مَنْ كَانَ مِنْ كُلِ مَفْقُودٍ لَنَا بَـدَلًا فَلَيــسَ مِنْهُ عَلَــى حَــالَاتِــهِ بَدَلُ.

_يَبْكِي الرِجَالُ وَسَيْفُ الدَوْلَةِ مُبْتَسِمٌ حَتَى عَـنْ ابْنِكَ تَقْضِى الصَّبْرَ يَاجَبَلُ.[4]

بداية تضمنت مديحا لسيف الدولة و متحدثا عن موت الفتى وهو المصاب العظيم فاستحق الرثاء ،وهذا ما قاله أبو فراس في رثائه :

_ هَلْ تَبْلُغُ القَمَرَ المَدْفُونَ رَائِعَةٌ مِنَ المَقَالِ عَلَيْهَا لِلْأَسَى حُلَلُ.

---

[1] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص184.

[2] _ المصدر نفسه،ص185.

[3] _ ينظر،عبد الفاتح نافع،الشعر العباسي قضايا وظواهر،ص243.

[4] _ أبو فراس الحمداني،الدبوان،ص230.

_ مَا بَعْدَ فَقْدِكَ فِي أَهْلٍ وَلَا وَلَدٍ وَلَا حَيَـاةٍ وَلَا دُنْيَـا لَنَـا أَمَلُ.[1]

وتلي هذه الأبيات بأخرى حاملة لمعاني العزاء يقول فيها :

_ أُوصِيكَ بِالحُزْنِ لَا أُوصِيكَ بِالجَلَدِ جُلَ المُصَابِ عَنْ التَعَفُفِ وَلْفَنَـدِ.

_ إِنِـي أُجِـلُكَ أَنْ تَكْـفَى بِتَـعْزِيَةٍ عَـنْ خَيْرِ مُفْتَقَدِ يَا خَيْرَ مُفْتَقَد.

_ هِيَ الرَّزِيَةُ إِنْ ضَنَنْتُ بِمَا مَلَكَتْ مِنْهَا الجُفُونُ فَمَا تَسْخَرُ عَلَى أَحَدِ.[2]

إن صدق العاطفة إنما نجده في رثاء أمه،فلم ينتظر من أحد أن يحزن حتى يحرم على نفسه الفرح ولا أن يسهر حتى يحرم عليه النوم ،بل رأى نفسه جديرا بالحزن على أمه والبكاء عليها.

هـ-**الحنين:** إن البعد عن الوطن والأهل والأحباب يستثير لوائح الشوق ويحرك الوجدان ويتضاعف هذا الإحساس إذا أرتبط الفراق بظروف مثل محنة الأسر فالمغترب يملك قراره في يده ويستطيع العودة إذا شاء ،أما الأسير فهو فاقد الحرية ولا يعرف شيئا عن مصيره ولا يدري متى يفك أسره ،ولأن أبا فراس يملك حس مرهف ووجد نفسه أسير في أرض. غريبة وطالت مدة الأسر فأشتد به الشوق وأزعجه الفراق وهو محاصر بالوحدة والفقد[3]،فثارت في قلبه عواطف الحنين إلى أهله وقومه وهو محروم من مشاهدتهم[4]،ولقد مشاهدتهم[4]،ولقد كانت روميات أبو فراس صورة لمعاناته ومرآة عاكسة لهمومه وأحزانه فمن شوقه.

نجد قوله :

_ تَشُوقُنِي الأَهْلِ الكِرَامِ وَأَوْحَشَتْ مَوَاكِبُ بَعْدِي عِنْدَهُمْ وَمَجَالِسُ.

[1] _ _ أبو فراس الحمداني،الديوان ،ص231.

[2] _ المصدر نفسه،ص86.

[3] _ فوزي عيسى،في الشعر العباسي،ص114.

[4] _ المرجع نفسه،ص116.

ـ وَرُبْتُ مَا زَانَ الأَمْجَادِ مَاجِـدٌ وَرُبْتُ مَا زَانَ الفَوَارِسَ فَوَارِسُ.[1]

وليكون أحبابه كثيرون وهو مشتاق لهم بعددهم، فلا يدري فيمن يفكر ولا عمن يتكلم. فهو يقول:

ـ لِأَيِكُـــــــمُ أَذْكُـــــــرُ وَفِـــــــيكُمْ أُفَكِـــــــرُ.
ـ وَكَـــمْ لِـــي عَلَـــى بَلْـــدَتِي بُكَـــــــاءٌ وَمُسْـــــــتَعْبَرُ.[2]

ويقول :

ـ فَفِـــي حَلَـــبٍ عُـــدَتِي وَعِـــــــزِي وَ المَفْخَـــــــرُ.
ـ وَفِـــي مَنْـــبَجٍ مِـــنْ رِضَـــا هُ أَنْفُـــسُ مَـــا أَذْخَـــرُ.
ـ وَمَـــــنْ حُبُـــــهُ زَلْفَـــــةٌ بِهَـــا يُكْـــرَمُ المَحْشَـــرُ.[3]

فأبو فراس في هذه الأبيات يبرز مدى شوقه إلى ممدوحه في حلب و هواتي عمه سيف الدولة ، وكذا إلى حبيب آخر ولكن في غير بلد وهي منبج وهي أمه ويعدها شوقه لأولاده وقومه وفي هذا يقول :

ـ وَأَصْـــــــبِيَةٌ كَـــــالْفِرَاخِ أَكْبَـــــــرُهُمْ أَصْـــــــغَرُ.
ـ وَقَـــــــوْمٌ أَلِفْنَـــــاهُمْ وَغُصْـــنُ الصـــبا أَخْضَـــرُ.[4]

وقال أيضا:

ـ يَحْتَـــــــلُ لِأَمْـــــــرِهِمْ كَـــــــأَنَهُمْ خُضْـــــــرُ.[5]

نرى كيف أن الشاعر من خلال هذه الأبيات عبر عن شوقه كثير من أحبابه فهو يبرز عاطفة الحنين لكل واحد منهم، لدا الشاعر فقد عبر عن حنينه لهم بأصدق العواطف

[1] ـ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص198.
[2] ـ المصدر نفسهْ، ص173.
[3] ـ المصدر نفسهْ، ص173.
[4] ـ ـ المصدر نفسهْ، ص174.
[5] ـ المصدر نفسه ، ص174.

وأبلغ القصائد، ومن صور حنينه و شوقه كذلك ما خاطب به علامية (صافي ومنصور) وهو خطاب على نهج نفسه،[1] يفضي رقة و يفطر أسًا فيقول :

_ هَلْ تُحِسَانِ لِي رَفِيقًـا رَفِيقًـامُخْلِصَ الوُدِ أَوْ صَدِيقًا صَدِيقًا.

_ لَا رَعَـى اللهُ يَا خَلِيلِـي دَهْرًا فَـرَقَتْنَـا ظُـرُوفُـهُ تَفْرِيقًـا.

_ كُنْتُ مَوْلًا كَمَا وَمَا كُنْتُ إِلَا وَالِـدًا مُحْسِنًـا وَعَمًـا شَفِيقًا.

_ فَاذْكُرَانِي وَكَيْفَ لَا تَذْكُرَانِي كُلَمَا اسْتَحْوَذَ الصَدِيقُ الصَدِيـقَا.

_ بـتُ أَبْكِيكُـمَا وَإِنْ عَجِيبًا أَنْ يَبِيتَ الأَسِـيرُ يَبْكِي الطَلِيقَا.[2]

وفي الروميات حنين قوي إلى الوطن وتعلق شديد بالمكان، فتطل صورة حلب المتجذرة في وجدانه ويتملكه الشوق والحنين لها، فيقول :

_سَقَي ثَرَى حَلَبُ مَا دُمْتَ سَاكِنَهَـا يَا بَـدْرُ غَيْثَانِ مِنْهَلُ وَمُنْبَجَسُ.

_ أَسِيرٌ عَنْهَا وَقَلْبِي فِي المُقَامِ بِهَـا كَأَنَ مَهْرِي لِثُقْلِ السَّيْرِ مُحْتَبَسُ.

_ هَذَا أَوْ لَوْلَا الذِّي فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ مِنْ البَلَابِلِ لَـمْ يَقْلَقْ بِـهِ فَـرَسُ.

_ كَأَنَـمَا الأَرْضُ وَالبُلْدَانِ مُوحِشَـةٌ وَرُبْعُهَا دُونَـهُنَ العَامِـرُ الأَنَـسُ.[3]

هذا تصويره للأرض والحنين لها هو دافعه، بعده عنها حسدي فروحه بها حتى أن الأرض جميعا تبدو له موحشة وغريبة وأرضه هي الوحيدة الآمنة والمؤنسة[4]،له ولم يتوقف عند هذا التصوير بل مضى يوصف تلك الأماكن.

فقال :

---

[1] _ شوقي ضيف،العصر العباسي الأول،ص306.

[2] _ أبو فراس الحمداني، الديوان، الديوان.

[3] _ المصدر نفسهْ،ص199.

[4] _ فوزي عيسى،في الشعر العباسي،ص118.

_ حَيْـثُ أَلْتَفَـتُ رَأَيْتُ مَـا ءًا سَابِحًـا وَسَكَنْـتُ ظِـــلًا.

_ تَرَدَا رَوَادًا عَيْنِـي فَمَـا مِـنْ مَنْــزِلًا رَحْبًـــا مُــطِلًا.

_ وَتَحِـلُ بِالجِسْرِ الجِنَا نُ وَتَسْكُـنُ الحِصْنَ المُعَلَى .

_ تَجْلُـو عَرَائِسُـهُ لـنَـا هَـزْجَ الذُبَـابِ إِذَا تَجَـــلَى.

_ وَغَـذَى نَزْلُنَـا بِالسِوَاجِيرًا اجْتَنَبْنَا العَيْـشَ سَهْـلًا.

_ وَالمَاءُ يَفْصِلُ بَينَ زَهْرِالرَوْضِ فِي الشَّطَيْنِ فَصْلًا.

_ كَبِسَاطٍ وَشِيٍ جَـرَدَتْ أَيْـــدِي القَيُونِ عَلَيْـهِ نَصْلًا.[1]

يجسد صورة أخرى في شعر الحنين لديه وهي صورة أخيه (أبي الهيجاء حرب بن سعد) إذ بعث له بقصيدة عندما رأى جزعه كبيرا لأسره،يقول في مطلعها:

_ أَبِيتُ كَأَنِـي لِلْصَبَابَـةِ صَاحِـبُ وَلِلنَوْمِ مُذْ بَانَ الخَلِيطُ مُجَانِبُ.

_ وَمَا أَدَعَى أَنَّ الخُطُوبَ تُخِيفُنِي لَقَدْ خَبَرَتْنِي بِالفُرَاقِ النَوَاعِـبُ.[2]

وأستمر في تصوير شوقه فألف فيه قصيدة تجاوزت الستين بيتا أبرز فيها مقدار شوقه له فقال :

_ وَلَسْتُ مَلُومًا إِنْ بَكَيْتُ مِنْ دَمِـي إِذَا فَقَدْتُ عَنِي الدُمُوعُ السَوَاكِبُ.

_ وَأَنْتَ أَخٌ تَصْفُو وَنَصْفُو وَإِنَمَا أَلْأَقَارِبُ فِي هَـذَا الزَمَانِ عَـقَارِبُ.

_ لَعَـلَ اللَيَالِـي إِنْ يَعِدْنَ فَرُبَمَـا تُجَلِينَ إِجْلَاءَ الغُيُومِ المَصَائِبُ.

_ فَـمَا هِـيَ إِلَا فِي دُنُوكَ جَاهِدُ وَمَـا أَنَـا إِلَا فِـي لِقَائِكَ رَاغِـبُ. [3]

---

[1] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص269،268.

[2] _ المصدر نفسهْ، ص73.

[3] _ المصدر نفسه، ص48.

_ أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَ لَيْلَـهُ تَنَاقَـلُ بِـي فِيهَا إِلَيْـكَ الرَكَائِبُ.[1]

وقد بعث له رسالة تشوق أخرى إلى القسطنطينية ، يشبه لواعج الشوق في رقة متناهية[2]وكأنناأمام عاشق يتشوق إلى حبيبته، يقول :

_ لَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو البُعْدَ مِنْكَ وَبَيْنَنَا بِلَادُ إِذَا مَا شِئْتَ قُرْبَهَا الوَاِجِدُ.

_ فَكَيْفَ وَفِيمَا بَيْنَنَا مُلْكُ قَيْصَـرَا وَلَا أَمَلَ يُحْيِ النُفُوسَ وَلَا وَعْدُ.[3]

ومنه فإن الروميات قد ورد فيها جملة من القصائد التي رسمت حنين الشاعر للأحباب والأصحاب وحتى الديار، أي أن أبا فراس قد راحت نفسه تحن لكل ماهو له صلة بالأهل والبلد ولكن أعظم قصيد حنينه كانت حول الأم التي كان الشوق لها أعظم من أي شخص آخر.

و- التأمل و الحكم :إن ميزة الأسر هي الفراغ الذي يدفع الإنسان دائما إلى النظر والتأمل في كل أمور الحياة و طبيعة الخلق وهذا ما أمر به أبو فراس فقد كانت آلامه وشماتة الأعداء فيه تزيد حصره كل يوم ، أدت به إلى جملة تأملات تمثلت في حقائق عبر عنها بصورة شعرية من بينها أن الحذر لا يمنع وقوع الغدر وهذا كان من أحكامه[4] الأولى مفادها أن الأسر لم يكن نتاج عدم الحذر أو التهور فهو قضاء وقدر وعبر عن ذلك في قوله :

_ وَهَلْ يَدْفَعُ الإِنْسَانُ مَاهُـوَ وَاقِــعٌ وَهَلْ يَعْلَمُ الإِنَسَانُ مَا هُوَ كَاسِبُ.

_ وَهَلْ لِقَضَاءِ اللهِ فِي الخَلْقِ غَالِبُ وَهَلْ لِقَضَاءِ اللهِ فِي الخَلْقِ هَـارِبُ.

_ عَلَي طُلَابِ العِــزِّ مِنْ مُسْتَقَرِهِ وَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ حَارَبَتْنِي المَطَالِبُ.[5]

---

[1] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص48.

[2] _ فوزي عيسى،في الشعر العباسي،ص120.

[3] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص90.

[4] _ سامي يوسف أبو زيد،الأدب العباسي(الشعر)،ص306.

[5] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص45.

فقد رد الشاعر الأسر الذي وقع فيه للقدر ولا يتم على عن تهور وما وقع لا مجال للهرب منه والقضاء لا إعراض عليه،أما الحقيقة الثانية التي عبر عنها أبو فراس فهي مخافة الله وضرورة التوكل عليه أي أن يسعى الإنسان ويترك كل ماهو مقدر على الله العلي فالشاعر كان يطلب العلى وكذا السلطة والقيادة، لكن القدر عارضه وأغلبه لما وقع أسيرا عند الروم ولإبراز عدم الهزيمة[1]،وان الأمل مازال لديه يقول :

_ فَمَا كُلُ مَا شَاءَ المَعَالِي يَنَالُهَا وَلَا كُلُ سَيَّارٍ إِلَى المَجْدِ يَهْتَدِي.[2]

وكأن وقوعه لا يتعارض مع قدرته فالوصول إلى السلطة ولا تنقص من بطولته بل هي برهان على بطولته ، والتجربة هي البطولة برأيه بغض النظر إلى النتائج وهذا ما يوافقه المنطق ويتفق معه الدين[3]، فالله تعالى لم يطلب من المسلمين سوى العمل والقتال، ولم يطالبهم مرة بتحقيق النصر أو يحاسبهم على عدم تحقيقه، ومن ذلك قوله تعالى : "**وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنُونْ** "[4].وهو بهذا يسير في درب صحيح، ومن تلك الحقائق أيضا التي توصل إليها أن الله لا غالب لأمره حيث يقول :

_ أُسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعَزْلِي لَدَى الوَغَى وَلَا فَرَسِي مَهْرُ وَلَا رَبُهُ غَمْرُ.

_ وَلَكِـنْ إِذَا حُـمَ القَضَاءُ عَلَى امْـرِئٍ فَلَيْسَ لَهُ بِرٌ يَقِيهِ وَلَا بَحْـرُ.[5]

فقول الشاعر في البيت الثاني نجده يتفق مع الآيتين الكريمتين حيث يقول تعالى : "**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَدَ**"[6]وقوله ايضا : " **قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ القَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**"[7].

---

[1] _ سامي يوسف أبو زيد،الأدب العباسي(الشعر)،ص308.

[2] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص96.

[3] _ ينظر،فوزي عيسى،في الشعر العباسي،ص126.

[4] _ سورة التوبة،الآية،105.

[5] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص152.

[6] _ سورة النساء،الآية،78.

[7] _ سورة آل عمران،الآية،154.

وكذلك حقيقة ألا شماتة في الموت مادام كل مخلوق منتهيا وكل حي ميت لا محالة حتى وإن طال به الزمان حيث يقول :

_ بَنُو الدُنْيَا إِذَا مَاتُوا سَوَاءٌ وَلَوْ عَمَّرَ المُعَمِرُ أَلْفَ عَامِ.[1]

ومنه فإن تأمل أبو فراس قد أوصله إلى خلاصة جميلة من الحكم والحقائق المؤكدة لحقيقة الكون وإن الأمر في الخلق و تسيير الأقدار هو بيد الخالق وليس المخلوق.

المطلب الثاني : تموقع شعر الاعتقال في ديوان أبي فراس الحمداني

إن روميات أبي فراس الحمداني هي تجربة شعرية نادرة قل أن تجد لها نظيرا في شعرنا العربي ،وقد أدرك الباحثون قيمتها من خلال التطرق إلى ما قد حوته من قصائد مختلفة الأغراض، إذ أنها تشغل حيزا لا بأس به من الديوان وليس بوسعنا أن نرتبها ترتيبا تاريخيا لأنها لا تتضمن تواريخ محددة ولا تشمل على سياق تاريخي متتابع[2]، وبالنظر في ديوان أبي فراس نجد أن الديوان يحوي على (290) قصيدة ومقطوعة تجزئ إلى (2669) بيت ، نظم منها ما هو في الأسر والذي مثل (40) قصيدة احتوت على (777)بيتا . وهكذا فإن النسبة التي يؤول إليها الروميات أي قصائده في المعتقل فهي (13.79%) من مجموع ما أحتوى عليه الديوان من القصائد وما نسبته (29.11%) من مجموع الأبيات وللتعرف على تموقعالروميات من ديوان أبي فراس ،نلقي لمحة على أشعاره قبل الأسر،والتي اشتملت على موضوعات الروميات مع إضافة أغراض أخرى مثل التشيع ،الوصف اللذان لم يتم العثور عليهما في أي قصيدة من قصائد الاعتقال[3] إّذن فإن شعر أبي فراس قبل الأسر لم يكن حاملا لنفس مواصفات شعره بعد الأسر ،إذ أن تنازع عاطفتي النشوة التي دفعته إلى الفخر وعاطفة الألم من الأسر غيرت مجرى.[4]شعره و هكذا فإن الروميات قد اختلفت على باقي شعره قبل الأسر، ومنه فإن

[1] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص311.

[2] _ بنظر،فوزي عيسى،في الشعر العباسي،ص110،109.

[3] _ ينظر،سامي يوسف أبو زيد،الأدب العباسي(شعر)،ص305.

[4] _ ينظر،فوزي عيسى،في الشعر العباسي،ص111.

تموقعها أيضا اختلف في الديوان[1]، ونجدها متموقعة بنسب متفاوتة و قد جاءت كالآتي :

:

أ_ الفخر:وهو موضوع أساس في روميا ته وقد اشتمل الديوان على (1400) بيت في الفخر و المديح ، انقسمت بين ماهو في السر وما هي قبله فالفخر هو غاية التي يطمح لها أبو فراس من نظم شعره وقد سعى جاهدا للوصول إلى غايته حتى لا يكاد الفخر يستغرق شعره والحق انه أعاد أن الفخر إلى عصوره الزاهية ففخر بأمجاد قومه وبقوته وفروسيته وقبيلته تغلب الكبرى[2]. كما الفخر في الروميات كان أعلى صوتا، وأحد عاطفة عاطفة وأكثر توجها لأنه قيل في سياق عاطفي[3]، ومن أهم مواقع الفخر في الديوان و بخاصة في الروميات نجد قصيدة (فما انا مداح وما أنا شاعر) هذه الأخيرة التي اشتملت على (225)بيتا، وهي تشتمل على جميع خصائصه في الفخر، إذا جمعت أحداث وذكريات غزوه ووقائع الحروب وكأنه تصوير لما قد مر به من ملامح وحوادث غريبة عديدة[4].

ولأن الفخر قسم ما هو بالذات وبالنسب عند أبي فراس قبل الأسر ، فقد اختلف ذلك في الروميات من خلال تركيزه على الفخر بالنفس إذا شكل هذا الأخير مناسبته (89%) من أبيات الروميات الفخرية التي قسمت إلى تعداد، بين أبيات بلغت (133)بيت.

_ الشِـــعْرُ دِيـــوَانُ العَـــرَبْ أَبَـــدًا وَعُنْـــوَانَ النَّسَـــبِ.

_ لَـــمْ أَعُـــدَ فِيـــهِ مَفَـــاخِرِي وَمَـــدِيحَ أَبَـــائِي النُجُـــبِ.[5]

من خلال هذه الأبيات نرى الشاعر يعترف باهتمامه بالفخر نافيا أن نكون صناعته بل هو تعادلمفاخره ومفاخر قوم انتسب إليه ومديح لهم على مآثر امتاز بها دون غيرهمومن

[1] _ ينظر،فوزي عيسى،في الشعر العباسي،ص111.

[2] _ ينظر المرجع نفسه ،ص121،120.

[3] _ بطرس البستاني،ادباء العرب في الأعصر العباسية،ج2،ص368.

[4] _ ينظر المرجع نفسه،ص371.

[5] _ أبو فراس الحمداني،الديوان، ص25.

أمثلة قصائده الفخرية التي تصنف من شعر الاعتقال لديه اخترنا هذه المقاطع المعبرة عن افتخار الشاعر بنفسه وبقومه من جوانب مختلفة .

حيث يقول في الفخر بأخلاقه :

_ وَكَمْ أَمَرَ أَغَالِبُ فِيهِ نَفْسِي رَكِبْتُ مَكَانَ أَدْنَى لِلْنَجَاحِ.

_ أَصْحَابَ كُلِ خِلٍ بِالتَجَافِي وَأَسْوَ كُلَّ دَاءٍ بِالسَمَاحِ.[1]

وفي فخره بقومه يقول :

_ أَيُهَا المُبْتَغِي مَحَلَ بَنِي حَمْـ دَانَ مَهْلًا أَتَبْلُغُ الجَوْزَاءَ.

_ فَضَلُوا النَاسُ رِفْعَتًا وَسُمُوًا وَعُلُوَّهُمْ تَكَرُمًـا وَوَفَـاءَ.[2]

ويفخر بشجاعته في مواطن أخرى من روملياته فيقول :

_ رَدَدْتُ عَلَى بَنِي قَطْنٍ بِسَيْفِيأَسِيـرًا غَيْرَ مَرْجُـوِ الإِيَـابِ.

_ سُـرِرْتُ بِفَكِـهِ حَـيِ نَمِيـرُ وَسُؤْتُ بَنِي رَبِيعَةٍ وَالضَبَـابِ.

_ وَمَـا أَبْغِي سِوَى شُكْرِي ثَوَابًا وَإِنَّ الشُكْرَ مِنْ خَيْرِ الثَوَابِ.[3]

وبهذا نكو نوا قد تطرقنا إلى نماذج من الفخر الذي نال المرتبة والموقع المهم والأول في ديوان أبي فراس ، وفي روملياته بشكل خاص لأنه حوى كل معاني القوة والمجد التي تميز بها العرب عبر تاريخهم المجيد[4]، وبعد تموقع الفخر في الدرجة الأولى فالأكيد أن بعده ماهو ذا قيمة شعرية أخرى من عديد أغراضه.

ب_ الشكوى : موضوع الشكوى له جذور تمتد إلى فترة ما قبل الأسر إلا أن مكانتها لم تكن كما هي عليه في روملياته ، فهي تمتاز فيها بالبروز إذ اشتكى أبو فراس في ورملياته

[1] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص74.

[2] _ المصدر نفسه،ص16.

[3] _ المصدر نفسه،ص25.

[4] _ فوزي عيسى،في الشعر العباسي،ص124.

ما يعادل نسبة (87%) من شكواه في الديوان وما هو تعداد (533) بيتا مع العلم أن الشكوى كانت هامشية قبل الأسر.[1]

ولكن الألم الذي مر به بعد الأسر جعل هذا الموضوع يترفع ويتعالى وإصبع موضوعا رئيسا وأحتل مرتبة بارزة في روملياته[2]،والثابت أن أبا فراس شكا غير مرة من أقاربه وعشيرته ، وكانت شكواه قبل الأسر من الحسد والحقد الذي كان أثر للتنافس بينه وبين الأقارب لديه ومن ذلك قال :

_ أَرَانِـــي وَقَوْمِـــي فَرَقَتْـــنَا مَذَاهِـبُ وَإِنْ جَمَعَتْنَا فِي الأُصُولِ المَنَاسِبُ.

_ فَأَقْصَاهُمْ أَقْصَاهُمْ مِنْ مُسَاءَتِـــي وَأَقْرَبُهُـــمْ مِـــمَا كَرِهْـــتُ الأَقَـارِبُ.

_ غَرِيبٌ وَأَهْلِي حَيْثُ مَا كَرَّ نَاظِرِي وَحِيِّد وَحَوْلِي مِنْ رِجَالِي عَصَائِبُ.[3]

غير هذه الشكوى من قومه يشكو أحيانا ويخص شخصا بعينه كشكواه من حاسدا أو منافس ويقول في هذا الخصوص عن الحاسدأبيات منها :

_ وَيَغْتَابُـنِي مَـنْ لَـوْ كَفَانِي غَيْبُهُ لَكُنْتُ لَهُ العَيْنَ البَصِيرَةَ ولأُذْنَـا.

_ وَعِنْدِي مِنَ الأَخْبَارِ مَا لَوْ ذَكَرْتُهُ إِذَا قَرَعَ المُغْتَابُ مِنْ تَدْمِ السنَا.[4]

تبرز الشكوى في هذه الأبيات مخالفة لما هي عليه في إشعاره داخل السجن إذن هذه الأبيات هي قبل الأسر ، أما شعر شكواه في الاعتقال و لهذا اختلفت فلم يكن له أن يهتم بغير الشكوى من الألم والمعاناة ، وتبعا لهذا تعددت أوجهه وجوه الشكوى واختلفت إلا الألم و الحسرة ، كما نجده يشكو من شماتة الأعداء وتخلي الصحبة عنه، وهو في أسرو غربة و قيد محاصر به وهذا مادفع به إلى الشكوى كونها وسيلة للتغني في عرض بلواه إذ أنه اتخذ التغني بالألم ذريعة لتفريج الكربة ، وهو يسلك في ألمه طرقا متنوعة وبهذا

[1] _ ينظر، أبو فراس الحمداني،الديوان،333.

[2] _ ينظر، أبو فراس الحمداني،الديوان،333.

[3] _ المصدر نفسه،30،29.

[4] _ المصدر نفسه،325.

لجأ تارة إلى رحمة الله التي تسارع إلى إسعاف البائسين وبفزع طور إلى اعتبارات عامة في نكبات الدهر ومصائبه وفي سنة العذاب التي ترهق كاهل كل إنسان.[1]

وبذلك يكون موضوع الشكوى قد احتل مكانة في شعر الاعتقال لم يكن يرقي إليها قبله وبنسبه واضحة ، إلا أن هذا لا يعني تجاهل وجوده في الديوان غير مرتبط بالأسر، ومن الجدير بالذكر أن الألم الذي مر به الشاعر غير في نفسه العديد من الجوانب وهذا كان من بينها ، وكون الموضوع واسع وقبل الأسر ،إذا ما دل على شيء إنما دل يدل على تمكن الأسر من تغير أهمية الموضوع وجوانبه[2] ، بحيث غير من المستوى والكمية غذ أشتكى الشاعر في روملياته ما يعادل نسبة (87%) كما سبق الذكر مما يعني زخم هذا الإنتاج المصحوب بالشكوى.

ج_ الرثاء : كان الرثاء موضوعا سابقا للأسركما كانت غيره من الموضوعات إلا أن نسبة التطرق إليه كانت اقل ، فنجده قبل الأسر لم يرث غير أبي العشائر الحمداني فيقول في رثاء أخته :

_ أَتَزْعُمُ أَنَــكَ خُــدْنُ الوَفَــاءِ وَقَدْ حَجَبَ التُرَبُ مَنْ قَدْ حُجِبُ.

_ فَإِنْ كُنْتَ تَصْدُقُ فِيمَا تَقُولُ فَمِتْ قَبْلَ مَوْتِكَ مَعَ مَنْ تُــحِبُ.

_ عُقَيْلَــتِي اِسْتُلِبْتِ مِنْ يَدِي وَلَــمَا أَبْعَــــدَهَا وَلَــمَا أَهَــبِ.[3]

أما فيما قال وهو يرث أبا العشائر الحمداني فقد قال :

_ أَأَبَا العَشَائِــرِ،لَا مَحْلُكَ دَارِسٌ بَيْنَ الضُلُوعِ،وَلَا مَكَانَكَ نَازِحُ.

_ إِنِي لَأَعْلَــمُ بَعْــدَ مَــوْتِكَ أَنَهُ مَا مَرَ لِلإِسْرَاءِ يَــوْمٌ صَــالِحٌ.[4]

---

[1] _ ينظر ،حنا الفاخوري،الجامع في تاريخ الأدب العربي،ص823.

[2] _ ينظر، حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي ،ص823.

[3] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص41.

[4] _ المصدر نفسه،ص80.

رثاه وهو الذي مات في الأسر بعيد عن كل حبيب وقريب ، ويؤكد أن مكانته ستبقىعلى حالها ، وأن حال الناس من بعده غالية من فرح كما رثى غلاما له فقال :

_أَعْزَزْ عَلَيَ بِأَنْ يَمُوتَ مُوَسَدًا وَأَبِيتُ أَنْدُبُهُ مَعَ الإِخْوَانِ.[1]

_ وَلَقَدْ وَدَدْتُ بِأَنْ أَكُونُ مَكَانَهُ تَحْتَ التُرَابِ وَأَنْ يَكُونَ مَكَانِي.[2]

عز على أبي فراس أن يموت غلامه حتى أنه تمنى أنه لو مات بداله ، ويبرز في هذه الأمثلة من الأبيات أن أبا فراس لم يجد حتى عبارات توفي رثاءه، فقلت الأبيات دليل. على العاطفة الضيقة المدى، وكأنه يرثي بسطحية لا تترجم حزن ولا أسى حقيقي، وهذا ما امتاز به رثاؤه قبل الأسر، لم يكن هذا شأن أبي فراس دائما، فقد وردت له قصائد في الرثاء ، ربما كانت أحسن حالا مما تعرضنا له سابقا ، ومن ذلك قصيدة رثي فيها ابن ناصر الدولة[3] يقول في مطلعها :

_ الفِكْرُ فِيكَ مَقْصَرُ الآمَالِ وَالحِرَصِ بَعْدَكَ غَايَةُ الجُهَالِ.[4]

ويمضي ليقول:

_ لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِالفَضَائِلِ فَاضِلُ وَصَلْتُ لَكَ الآجَالُ بِالآجَالِ.

_ أَوْ كُنْتَ تَفْدَى لِأَفِئِدَتِكَ سَرَاتُنَا بِنَفَائِسَ الأَرْوَاحِ وَالأَمْوَالِ.[5]

أما عن تموقع قصائد الرثاء في الديوان فقد كَانت خلية أي أن احتواء الديوان له اختلفت نسبته ما إذا قارناها باحتواء الروميات على قصائد لذات الموضوع، فهي جاءت بنسبة (5.25%)في الديوان بينما جاءت في الروميات ما نسبته (12.72%)، فمهما يكن من

[1] _ المصدر نفسهْ، ص340.

[2] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص340.

[3] _ بطرس البستاني،أدباء العرب في لأعصر العباسية،ص371.

[4] _ أبو فراس الحمداني،الديوان ،ص250.

[5] _ المصدر نفسه،251.

أمر فإن الشاعر لم يكن مجيدا في الرثاء قبل الأسر، ولا في الرثاء في روميات باستثناء قصيدة رثي فيها أمة وجاء مطلعها:

_ أَيَا أُمَ الأَسِيرِ سَقَاكَ غَيْثٌ يَكْرَهُ مِنْكَ مَا لَقِيَ الأَسْرُ.[1]

وكان إبداعه في هذه القصيدة بارزا فقد ميزتها البراعة في التصوير للألم والوجع الذي لحق به وكأنه يحكي أحداث قصة حزينة يسودها الوجع من الفقدان لمن هي اغلى البشر.

د_ الغزل: إن الغزل أبو فراس في الروميات لم يفرد له قصائد او مقطوعات بل كان أبيات مهدا بها لموضوعه في الفخر أو العتاب، وعليه كانت أبياته الغزلية قبل الأسر ترفا أدبيا مارسه الشاعر وعليه زين بها قصائده ، إلا أنه ورغما ما أشتمل عليه غزل أبي فراس من دقة في الوصف الحسي والتصوير النفسي إلا أن ذلك كله لم يكن نابغا من عاطفة صادقة أو شعور حي[2]، وبذلك فإن تحول غزليات من قصائد ومقطوعات إلى أبيات ومطالع لقصائده مثل قوله في صدر إحدى رومياته:

_ أَرَاكَ عَصِيَ الدَمْعِ شِيمَتُكَ الصَبْرُ أَمَا لِلْهَوَى نَهِيَ لَدَيْكَ وَلَا أَمْرُ.[3]

وهكذا طرأ تحول مهم على غزل أبي فراس الحمداني عندما وصف الغزل بطريقة رمزية بارعة،إذ أنه كان يرمز لسيف الدولة لقوله :

_ فَلَا تُنْكِرِينِي يَا ابْنَةَ العَمِ إِنَنِي لِيَعْرِفَ مَنْ أَنْكَرْتَهُ البَدْوُ وَالحَضَرُ.[4]

وبهذا لم يعد غزل أبي فراس في الأسر يمثل لقاء بمحبوبه أو وصف له بل غدا له شأن اخر حينما وظفه لخدمة قضيته ، قضية الفداء وبهذا لم يفرد للغزل قصيدة واحدة بعد الأسر، بل استهل بعض قصائده التي أنشأها في الاسر بالغزل منها ما يعادل (769) بيتا في ديوانه ، أي تموقع الأبيات الغزلية في الديوان.

---

[1] _ المصدر نفسه،ص184.

[2] _ بطرس البستاني،أدباء العرب في الأعصر العباسية،ص316.

[3] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص177.

[4] _ المصدر نفسه،ص174.

ولكن هذا التموقع لم يعادل ماكان في الروميات،حيث نجدها تعادل (48) بيت ومنه فإن التموقع للغزل يختلف بينما هو قبل الأسر وما بعده كما اختلف في التعداد[1].

هـ_ الحكمة والتأمل:تجلت في روميات أبي فراس أبيات تبلورت وكأنها أمثال منبعثة من تجربة معاشههي المعاناة والألم في الأسر، ومن تلك الظروف تجلت له جملة حقائق ومن بينها نجد الصبر واحتساب الأجر عند الله ، فهو قد اتخذها عزاء وتصبر له على ماهو فيه ، وكذلك التوكل على الله مع بذل الجهد لذلك ، والله بيده تصريف الأمور ، وهو العالم بكل شيء.

وفي ذلك يقوله:

_ دَعْ مَـــا أُرِيـــدُ وَمَـــا تُرِيـــدُ فَـــــــــــــــــإِنَ للهِ الإِرَادَةُ.[2]

كما أنا أبرز الحقائق التي عبر عنها في شعره، والتي كانت في قناعه بأن الدنيا منقلبة لا تدوم على حال وإن طبيعة الحياة متعلقة بحقيقة الناس فحالهم هو مختلف ولايبقي على وضع وأحد، ولايرى الفرد هذا الأبعد المرور بعوائق و ظروف مؤلمة كالتي مر بها الشاعر، محنة السجن فتحت أمامه حقائق ربما لم تنجلي أمامه قبل الأسر، وفي ذلك يقول :

_ هَـــلْ تَـــرَى النِعْمَـــةَ دَامَـــتْ لِصَـــــــــغِيرٍ أَوْ كَبِيـــــــــرٍ.
_ أَوْ تَـــــرَى أَمْـــــرَيْنِ جَـــــاءَا أَوْ لَا مِثْـــــــــلَ أَجِيـــــــــرٍ.
_ إِنَمَـــــا تَجْـــــرِي التَصَـــــارِي فُ بِتَقْلِيـــــــــبِ الـــــــــدُهُورِ.
_ فَفَقِيـــــــرٌ مِـــــــنْ غَنِـــــــي وَغَنِـــــــي مِـــــــنْ فَقِيـــــــرٍ.[3]

وقد برز شعر الحكمة والتأمل لدى أبي فراس في روملياته أكثر لأن الوقت سمح له بتأمل في مصاعب الحياة والأول الذي ينقلب بالبشر، من حال إلى حال، وقد أخذت مكانة ومساحته واسعة في روملياته، وقدجاءت حكمة في شكل مقطوعات مستقلة أو على شكل

[1] _ سامي يوسف أو زيد،الأدب العباسي(الشعر)،ص308.
[2] _ أبو فراس الحمداني،الديوان، ص92.
[3] _ المصدر نفسه، ص172،171.

أبيات أدرجها ضمن موضوعاته الأخرى ،ومن الطبيعي ألا تشكل الحكم موضوعا مستقلا، إذ أنها عادة ما تأتي نتيجة تجارب الشاعر في الحياة، ومن ناحية المضمون، فإن هذه الحكم تتسم بالبساطة في التعبير والبعد عن النظرات الفلسفية العميقة وهي لا تعدو أن تكون ملاحظات عابرات، واستدلالات لحظية، وعليه لا يمكن عدا هذا الموضوع موضوعا أساسيا في الديوان، بل هو موضوع هامشي، فأبو فراس شاعر عاطفي ولا تصلح العاطفة للحكمة والتأمل، فهي تحتاج إلى شاعر يتخذ له فلسفة في الحياة ينطلق منها.[1]

وهذا ما اكتسبه الشاعر في محنته و مصيبة الأسر والوحدة وتعلمه بأن الأحوال متغلبة قام يحذر الناس من الوثوق بها ومن أحوالها حيث يقول :

_ أَلَا إِنَمَـــا الدُنْيَـــا مَطِيَـةَ الرَاكِـبِ عَـلَا رَاكِبُوهَا ظَهْرَ أَعْوَجُ أَحْدَبَا.

_ شُمُوسًا مَتَى أَعْطَتْكَ طَوْعًا زِمَامُهَا فَكُـنْ لِلْأَذَى مِنْ عَقَهَا مُتَرَقِبَا.[2]

ويقول :

_ مَـــا لِلْعَبْـــدِ مَـــنْ الـــذِّي يَقْضِـــي بِـــهِ اللهُ إِمْتِنَـــاعُ.

_ ذُدْتَ الأَسُـــودَ عَـــنْ الفَـــرِا ئِـــسِ ثُـــمَّ نَفْتَـــرِسُ الضِـــبَاعُ.[3]

ومن خلال هذه الأبيات يبرزان مهما كانت قوة الإنسان فإن ذلك لا يمنع مشيئة الله أن تكون، أي أن القدر لا يغير مهما بلغت قدرة الفرد ،ومنه فإن الروميات قد لعبا دورا هاما في شهرة أبي فراس الحمداني مع أنها مثلت ما نسبته قليلة من الديوان، كما أنها ضمت جملة موضوعات تجددت على شعر ما قبل الأسر وأخذت منحى جديد وتجزأت بين ماهو أساس وقائم بنفسه مثل الفخر الذي استغرق مئات الأبيات دون إبداع ولا تجدد ،بينما الغزل نجد فيه تجديد على غير ما كان قبل الأسر والذي تجاوز في رومياته نسبة (4%) عن ما هو شعره، وقد لاحظنا أن توظيفه كان في إطار التلميح والاستخدام له كرمز،أما

[1] _ بطرس البستاني،أدباء العرب في لأعصر العباسية،ج2/ص369.

[2] _ أبو فراس الحمداني،الديوان،ص68.

[3] _ المصدر نفسه، ص212.

فيما يخص الرثاء فقد كان خاليا من صدق العاطفة وهذا فيما يخص رثاء ابن سيف الدولة و على عكس ذلك فقد جمعت العاطفة وصدق التعبير في مرثياته لأمه ،وكذلك كان موضوع الشكوى حاملا لألوان عدة من شكوى الشاعر حتى أمكننا القول أن هذا الموضوع وليد الروميات . ويضاف إليها كذلك موضوع الحنين ومن خلال بـقائه في الأسر وطـول انتظاره(للفرج ..قام يضيف أشعارا حول الحكم والتأمل مع أن هذا الموضوع كان هامشيا في الديوان،[1] ومن خلال ما قدتم التطرق إليه نجد آن أبا فراس قد اختلف شعره مابين الموضوع والأسلوب وحتى العاطفة ، والتنوع كان بالمقارنة مع ما قيل وبعد الأسر.

[1] _ فوزي عيسى،في الشعر العباسي،ص107،108.